العفة في الشعر الأندلسي

(المضمون والأسلوب)

دكتور/عبد الحليم حسين الهروط
أستاذ مساعد- قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الاداب - جامعة الحسين بن طلال

العفّة في الشعر الأندلسي
(المضمـــــون والأسلـــوب)(*)

الملخّص

يعرض هذا البحث للعفّة في الشعر الأندلسي التي شكّلت ظاهرة أدبية – في المضمون ووسيلة التعبير الفنيّة عنه – تنكّب الباحثون عن إفراد دراسة علمية جادّة لها ، واكتفى بعضهم بالإشارة إليها ، ومرّوا بها مروراً عابراً .

والمُبتغى من هذا البحث سدّ النقص المشار إليه ، وإبراز السمات الفنّية والموضوعية الأصيلة للغزل في الشعر الأندلسي ، وبيان مدى إسهام الأندلسيين في إثراء تيار الأدب العربي ، من خلال كشف صورة أخرى من صور الغزل في الشعر الأندلسي ، وبيان مظاهرها ، بعد أن استقرّ رأي الباحثين ، قديماً وحديثاً ، على تقسيم الغزل في الشعر العربي على قسمين ، هما : الغزل الحسّي الذي يعتمد على إبراز مفاتن المرأة ، وما يمكن أن ينبثق عنها من غرائز ؛ والغزل العذري الذي يعتمد على الصدّ و الحرمان والمعاناة ، دون أن يكون جسد المرأة المدار الرئيس الذي تدور حوله معانيه ، منذ أن أصبح الغزل غرضاً شعرياً مستقلاً.

وللوصول إلى الهدف من البحث ، اتخذ الباحث المنهج التكاملي القائم على التحليل والاستقراء وسيلةً للدراسة ، بما يتناسب مع مستويات العمل الإبداعي، دون التعسّف في استخدام منهجٍ نقدي واحد ، لا يتلاءم – بمفرده – مع الموضوعات الأدبية القديمة .

(*) د. عبد الحليم حسين الهروط – أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية و آدابها – كليّة الآداب – جامعة الحسين بن طلال – ص . ب ٢٠ معان

والمأمول أن يكون هذا البحث محفّزاً على دراسة تأثير العفّة في الشـــعر الأندلسي في أدب العفّة في إسبانيا ، وفرنسا و غيرهما من الدول الأوروبية ، فـــي بحث علمي يتصدّى له الباحثون .

Abstract

This study addresses the piety issue in Andalusia poetry which introduced a new literary form- in content and its method of expression. In the past, the researchers did not give this subject the required consideration, some researchers just referred to it without real attention or thorough study.

This study aims to fill this gap and to highlight the technical features and the originality of the Andalusia poetry and the constructive contribution of the Andalusian poets to enrich the Arabic poetry by revealing other images of love poetry after the researchers have divided love poetry into two subjects. The physical love which depends on describing the women physical attraction and what the consequences of such description. The second type is the spiritual love which depends on agony and depravity without considering the women physical body the center of attraction.

To achieve the study objective, researchers used the complementary method of analysis and investigation to conduct the study to match with the innovative literary work without exaggeration in the usage of single criticism technique.

We hope this study will be a driving motive for more deep study to find out it affects on the piety poetry in Spain, France and other European countries.

توطئة : رؤية الشعراء للعفّة ومنزلتها عندهم

استطاع شعراء الأندلس أن يعبّروا عن رؤية مجتمعهم تجاه ظاهرة العفة، بوصفها الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه العلاقة العاطفية بين الرجل و المرأة ، انطلاقاً من الرؤية الدينية لها، وقد أشار ابن حزم إلى ذلك بقوله : " ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبّه التعفُّف ، وترك المعصية والفاحشة " [١] وقال في ذلك ابن طفيل : [٢]

إنْ لم يكُنْ في رضا الله اجتماعهما فيا لها صفقةً تمّتْ على غبَن

كما نظروا إليها بوصفها حاجة دينية واجتماعية وذاتية ، و" سمة أخلاقية ملازمة للفتوّة ، تلك الفتوة النابعة من النظرة الدينية "[٣]، فالمظهر الديني الذي عايشه الشعراء في الأندلس – غالباً – هو الذي منع الانحراف الجنسي في شعرهم، و شكّل رقيّاً حضارياً في تنظيم حياتهم العاطفية، إذْ لم يكن المجون " من الاتجاهات الأساسية في الشعر الأندلسي " [٤] ولم تكن الثوابت الدينية التي آمن بها الشعراء بعيدة عن حياتهم الفنيّة ، بل أثّرت في كثيرٍ من جوانبها ، ووجّهتها إلى ما يتوافق مع تعاليم الدين الإسلامي ، فالمتأمّل فيما وصل من نصوص يتضح له أن هذا الغرض هو نسق قيمي ، أفرزته ظروف حضارية وتاريخية ، عبّر عن الأعراف والتقاليد التي سادت بين أفراد المجتمع ، ممزوجةً بما وصل إليه من ماضي الثقافة العربية الإسلامية ، وتفاعلها مع الثقافات الأخرى المتباينة بطبيعتها.

و نلمس في مواقف الشعراء دعوة إلى ترسيخ تقاليد جديدة في إطار البنية الموضوعية ، لم تكن مألوفة في الشعر العربي على هذه الصورة من قبل ، وتأسيس مجموعة من القيم يراها هؤلاء الشعراء مناسبة لثقافة مجتمعهم الدينية ، وملبّية لحاجاته الاجتماعية والنفسية والروحية ، فضلاً على تثبيت قيم جمالية في التجربة الإبداعية لديهم ؛ فكانوا يحضّون على العفة ، ويدعون إلى التمسّك بها ، فجماليات النص الأدبي " ترتكز إلى خلفيات ثقافية واجتماعية لا يمكن نكرانها" [٥]،

فهم ينظرون إلى العفّة بوصفها واحدةً من مكمّلات الفتوّة عندهم ، قال عبد الملك ابن شُهيد :[٦]

إنّ الفتوّة – فاعلم حدَّ مطلبِها– عِرْضٌ نقيٌّ ونُطْقٌ فيه تبيانُ
بالعِلم يَفْخرُ يومَ الحفل حاملُهُ وبالعفافِ غداةَ الجمْع يَزْدانُ

ولعلّ من مظاهر الفتوّة – فضلاً على ما ذُكر في البيتين السابقين – حرص المحبّ على محبوبه، والمحافظة عليه ، وإن تجشّم في سبيل ذلك المصاعب ؛ لما لذلك من أثرٍ على العلاقة بين المحبين ، في صدق المحبة ومحض الوفاء ، وفي هذا السياق ورد قول المستعين بالله : [٧]

وإذا الكريمُ أحبَّ أمّن إلْفَه خطبَ القِلى وحوادثَ السلوانِ
وإذا تجارى في الهوى أهلُ الهوى عاشَ الهوى في غِبْطةٍ وأمانِ

وقد كان تركيز الشعراء على أن تكون العفّة من الرجل في الأغلب، وإن بدت في بعض الأحيان مشتركة بين الطرفين ، يتبيّن ذلك في التآلف الروحي ، والانسجام النفسي بينهما ، والتوافق على وزن الأمور بميزان العفة ، وقد كان " هذا التسامي اقترن بالحُبّ والغزل في الأندلس منذ أوّل الأمر " [٨] قال أبو بحر صفوان بن إدريس : [٩]

بتنا نشعشع – والعفافُ نديمنا– خَمْرَيْنِ من غَزَلي ومن كلماته

وقال ابن سارة الشنتريني : [١٠]

نادمتُه والهوى العُذْريّ ثالثُنا والرّاحُ تنضَحُ في عقلي كغُلّتهِ

أما ابن حمديس الصّقليّ (٥٢٧هـ) فقال بعد ليلة لقاء مع صاحبته : [١١]

باعتناقٍ ما اعتنقناه خنىً والتزامٍ ما التزمْناه سِفاحْ
ما على مَنْ صاد في النوم له شَرَكُ الحُلْمِ مهاةً من جُناحْ

ففي هذه الأبيات ومثيلاتها يتبيّن فضل هذا اللون من الشعر في الكشف عن جوهر الأخلاق ، والوجدان عند الشعراء الأندلسيين وفي مجتمعهم .

ويبدو أن هذه الظاهرة كانت تعبّر عن اتجاه فنّيّ في هذا الغرض من الشعر ، وليست التجربة الواقعية باعثاً لها – كما سيتضح في موضع لاحق من هذا البحث – وإنما هي صناعة فنية يجمع من خلالها الشاعر قواه المبدعة ، وملكته الشعرية الخلاّقة ، للتعبير عن مشاعره ، وعن عواطف المتلقين ، والتأثير في نفوسهم ، من خلال تحريك قوى النفس ، وإثارة كوامنها ، واستثارة المشاعر ، وتأجيج مظاهرها ؛ لأنّ هذه الظاهرة فيضٌ نفسيّ إنساني ، يأتي به الشاعر تحت تأثير العاطفة البشرية " لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبّة الغزل وإلْف النساء ، فليس يكاد أحدٌ يخلو من أن يكون متعلِّقاً منه بسبب ، وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام "[١٢] ولا تشكّل هذه الظاهرة دليلاً كافياً على التقوى والورع في سلوك الشاعر ، كما أنها لا تعدّ دليلاً كافياً لشذوذ في حياته ، بل هي تعبير عن حاجة نفسيّة فنية ، قال أحد الشعراء : [١٣]

أستغفرُ اللهَ ربّي ما هممتُ بـــه ولا جرى منه لي ذكْرٌ على بـــالِ

إلاّ مقالة لغْوٍ ما أردتُ بهـــا إلاّ التظرُّفَ لا وصفاً لأحـــوالِ

وعبّر عن ذلك أبو جعفر الخولاني في قوله : [١٤]

لمّا تصدّى للصـــــــدو دِ ، ومالَ نحو الإنحـــرافْ

هيّأتُ من شَرَكي لـــــــه فِعْلَ اللطاف من الظـــرافْ

ومن هنا يتبين أن هذه المسألة عند الشعراء تدخل في باب المُلَح والتظرُّف .

ومما يدلّل على ذلك ولوع شعراء الأندلس بالزخرفة الشعرية وبالصناعة البلاغية ، والتصرّف بها و بأفانينها ؛ للتعبير عن هذه الحالة ، يظهرون في ذلك براعتهم في النظم ، وقدرتهم على التفنّن في التعبير عن المعاني ، قال ابن جُزَيّ الكلبي : [١٥]

أيا مَنْ كففتُ النفسَ عنه تعفُّفاً وفي القلب من شوقي إليه لهيبُ / غرامُ
ألا إنما صَبْري كصَبْرٍ وإنما على النَّفس مِنْ تقوى الإله رَقيبُ / لجامُ

في هذا المثال يُقرأُ البيتان بقافية الباء تارةً ، ويُقرآن بقافية الميم تارة أخرى ، دون أن يكون هناك إخلال بالمعنى ، أو في الإيقاع ، وهذا الضرب من أنواع البلاغة يسمّى التخيير.

وقد بالغ بعض الشعراء في وصف حالة عشقٍ لم يعيشوها ، و استطاعوا من خلال ملكتهم الشعرية ، ومهارتهم الأدبية ، في اختلاق هذه الحالة ، إذْ كانوا يستوحون مواقف متخيّلة أكثر مما يستوحون مواقف واقعية حقيقية ، يبدو ذلك في استحضار معانيها ، ورسم مشاهدها ؛ لتبدو حالةً عاشها الشاعر بكل تفصيلاتها ، وعبِّر عن شعورٍ لم يحسّه، وأخذ بعضهم " يتحدّثُ عن العفاف ، أو التمكُّن من الشهوات مذهباً أدبياً ، دون أن يعبّر عن حقيقة أخلاقية ماثلةً في نفسه " [١٦] فهو " أقربُ إلى كونه حديثاً عن عفاف مزعوم ، أو إيماناً بالعفاف عند المقدرة ، دون أن يكون له بعد أخلاقي في ذاته "[١٧] فإن " الأديب ذا الخيال الخصب الخلاق ، أو ذا الملاحظة الدقيقة النافذة ، يستطيع أن يخلق بخياله تجارب بشرية قد تكون أكثر صدقا ، و أكثر غنى من واقع الحياة " [١٨] ، وهذا هو الصدق الفني عند النقاد والبلاغيين في العصر الحديث .

ولا يتعدى هذا الشعر في وعي المتلقي أكثر من مدلوله التأثيري ، الذي لا يفترض ممارسة واقعية عاشها الشعراء ، وأن كثيرا منهم من كان يرى المتعة الحقيقية الوحيدة التي يبحث عنها هي التمتع بحضور المحبوب [١٩] ؛ فيبدو موقفهم فيها موقفا طبيعيا ، في مثل قول ابن فرج الجياني : [٢٠]

و طائعة الوصال عففت عنها وما الشيطان عنها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فباتت دياجي الليل سافرة القناع
وما من لحظة إلا وفيها إلى فتن القلوب لها دواع
فملكت النهى جمحات قلبي لأجري في العفاف على طباعي
وبت بها مبيت السقب يظما فيمنعه الكعام من الرضاع

وقد عدّ أنخل بلنثيا هذه الأبيات نموذجاً للغزل العذري عند العـــرب ، وذكـــر أن غرسيه غومس ترجمها وجعل عنوانها " عفّة ".(٢١)

وكرّر الجيّاني المشهد نفسه بصورة أخرى مفترضة ، أجراها في بـــاب الطيـــف والمنام ، مما يدلّ على أن هناك مَنْ شكّلت العفّة هاجســـاً يرافقـــه فـــي منامـــه ، قال : (٢٢)

بأيّهما أنا في الشُّكْر بـــــادي بشكر الطيف أم شُكْرِ الرّقـــادِ
سَرى وأرادني أمَلـــي ولَكـــنْ عففتُ ، فلم أنلْ منه مُـــــرادي
وما في النَّومِ مِنْ حَرَجٍ ولكـــن جريتُ من العَفافِ على اعتيادي

وقد علّق ابن بسّام على هذه الأبيات ، فقال : " كأنه لمّا عفّ فـــي اليقظـــة جرى على عادته في النوم " (٢٣) ، وقد عدّ ابن حزم هذا المشهد من مشاهد الوصل " من حديث النفس وأضغاثها ، وداخلٌ في باب التمنّـــي ، وتخيُّـــل الفكـــر " (٢٤) ، و فيها تتجلّى صورة المرأة المحبوبة ، و المرأة الحلم ، و المرأة الطيف في إطـــارٍ من العفّة والوقار .

صـــورة المرأة ومنزلتها عند الشعراء

تمتّعت الحرائر من النساء في الأندلـــس بحـــظٍّ وافـــرٍ مـــن الحريّـــة ، و المشاركة في الحياة العامّة ، مما أتاح لـــها لقـــاء الرجـــال ، ومشـــاركتهم فـــي المناسبات ، دون أن تحجب عنهم مظاهر حسنها ، ومواضع جمالها ، و لم تشـــكّل الأعراف الاجتماعية والتقاليد قَيْداً عليها وعلى سلوكها ، ولعـــلّ طبيعـــة المجتمـــع الأندلسي ، والتمازج الثقافي والاجتماعي ، أتاحا الظروف المناسبة للقاء الرجـــل و المرأة منفردين ، إذْ كان المجتمع الأندلسي مجتمعاً منفتحاً ، لبّى الحاجات الدينيـــة لأفراده بالقدر نفسه الذي لبّى فيه حاجاته الدنيوية ، وقد وصف لســـان الديـــن بـــن الخطيب في مقامة " خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف "مشهد وصول الركـــب السلطاني إلى مدينة وادي آش بقوله : " واختلطت النساء بالرجال ، والتفّ أربـــاب

الحِجا بربّات الحِجال ، فلم نفرّق بين السلاح، والعيون المـــلاح ، ولا بيـــن حمـــر البنود ، من حمر الخدود " . وفي مكان آخر من المقامة نفسها قال : " والنســـوان إلى مشاهدة التبريز قد حُفّت ، وبشاطئ الوادي قد صُفّت ، قـــد أبـــرزن الثنايـــا ، وسدّدن سهام المنايا ، عن حواجبَ كالحنايا ، يَشْغلنَ الفتى عن شـــؤونه ، ويســـلبْنَ الروضَ لينَ غصونه " [٢٥] .

وقد اتخذ الشعراء المرأة وسيلة للتعبير عن عفتـــهم ، وجعلوهـــا مـــدار التعبير عن عواطفهم ، التي ترتبط غالباً بالوازع الديني ، والأخلاقي ، دون التخلّي عن الوازع الذاتي ، وظلّت هذه العلاقة قائمة على شيءٍ من الحرية المنضبطـــة ، دون أن تهوي المرأة بنفسها إلى ما يمكن أن يشكّلُ عيباً عليها ، وإن لم يخلُ ذلـــك من اللهو ، من حيث إنها لا تجدُ بأساً في التسامح فـــي الحديـــث مـــع الرجـــل ، ومجالسته ، وعَرْض بعضٍ من مفاتنها ، والاستمتاع بحرارة اللقاء بـــه ، وظلّـــت العفّةُ من طهارة واحتشام المحورَ الذي يدور حوله الحديث بينهما.

وتكاد منزلة المرأة عند الشعراء تكون منزلة مقدّسة ، ســـمت بـــها عـــن المتعة الحسية ، وخفّفتْ عنها تلك النظرة الجنسية البحتة [٢٦] ، فالمجتمع كان يخشى عليها من أيّ شيء يشينها ، أو يحطّ من مكانتها ، وينزّهها عن معـــاني المجـــون والاستهتار ، وإن كانت التجربة التي يشير إليها الشعراء تجربة مفترضة ، و قـــد عكس هذا الشعر طبيعة تلك العلاقة بين الجنسين ، إذْ تعدُّ العفّة التي ترد في هـــذا الشعر" إجلالاً حقيقياً للمرأة " [٢٧] و" شعوراً بقدسيتها " [٢٨] ؛ لذلك فإن الشاعر فـــي هذا الجانب من الشعر ينأى بنفسه عن ذكر اسم صاحبته ؛ تنزيهاً لـــها ، وتعظيمـــاً من شأنها ، ويكتفي بذكر صفاتها الدّالة عليها المتفرّدة بها ، قال ابن زيدون :[٢٩]

لستُ نسمّيك إجْلالاً و تكْرمـــــةً ... وقدْرُك المُعْتلي عن ذاك يغنيـــا

إذا انفردْت وما شوركْت في صفةٍ ... وحَسْبُنا الوصفُ إيضاحاً وتبيينـــا

وقال ابن الحدّاد الأندلسي : [٣٠]

صنْتُ اسم إلفي فدأباً لا أُسميـــه ... ولا أزال بألغازي أُعمّيـــــهِ

وصاحبي عددي قد رمزْتُ بـــــه ... بذِكْرِ أعدادِ ما تحـــوي مبانيهِ

وعمد بعض الشعراء إلى التعمية والكناية ، وهي عادة استعملها الشعراء في صدر الإسلام [٣١] ، إذْ يخاطب الشاعر عناصر الطبيعة كناية عن صاحبته ، قال أبو بكر الكتندي : [٣٢]

يا سَرْحَةَ الحيّ يا مطـــــولُ	شَرْحُ الذي بيننا يطـــــولُ
عندي مقالٌ فهلْ مَقـــــامٌ	تُصغين فيه لما أقـــــولُ
ماضٍ من العيش كـــان فيـــه	منزلَنـــا ظلُّكِ الظليـــــلُ
زال وماذا عليه مـــــــاذا	يا سَرْحُ لو لـم يكنْ يـزولُ
حيًّا عن المُدْنـــفِ المُعنّـــى	منْبتَكِ القطْرُ والقبـــــولُ

ويبدو من خلال هذه الأبيات أن الشاعر لم يقصد الشجرة المذكورة ، ولـــم تشغله هذه الشجرة بوارف ظلّها ، وإنما قصد بها صاحبته التي طالما تمتّع بلقائها ، وطيب حديثها ، يلجأ إليها كلما وجد ضيقاً أو معاناة ، وما الخطاب الموجّه إلى تلك الشجرة في هذه الأبيات إلاّ خطابٌ موجّه إلى صاحبته ، داخل فـــي بـــاب التمنّـــي والرجاء والأمل ، دون أن يشير إلى اسم صاحبته . علـــى أن مخاطبـــة عنـــاصر الطبيعة في مدار الغزل أمر مألوف بين الشعراء ، إذ يتداخـــل الأمـــران حتـــى لا انفصال بينهما .

وفي هذا السياق ورد قول مالك بن المرحّل : [٣٣]

إني لأكني عنه خيْفَةَ أنْ يَشـــي	واشٍ فأفضَحُ في الهوى أو يُفضَحـــا
فأقول عند الليل : يا قمر الدُّجى	وأقول عند الصّبحِ : يا شمْسَ الضُّحى

ومن الشعراء مَن كان لا يمسّ صاحبته إجلالاً وتنزيهاً ، وهو ما يشكّل صـــورةً أخرى من صور إجلال المرأة وتقديسها ، مثل قول أحد الشعراء : [٣٤]

أمسكتُ قلبيَ عنه وهو مُضطربٌ	والشوقُ يبْعثُهُ والصَّوْنُ يزْجُـرهُ
تراه عيني وكفّي لا تلامســـه	حتّى كأنّيَ في المرآة أنْظـــرُهُ

فهذا الشاعر يقف من صاحبته التي خاطبها بصيغة المذكر " موقف التقديس والإجلال فلا يطيق مسّه ، أو ملامسته ، وإنما يكتفي بالنظر والتّأمّل ، وهو أسمى غايةً ، وأكثر عفّة ، وأقرب إلى العذريّة "[٣٥] .

وقال أبو الحسن علي بن فَرَجُون في ضرورة تنزيه المرأة عن نظر العين إليها ؛ كي لا يكون ثمّة سبيلٌ للحرام [٣٦]

الناسُ تكحلُ كي يحتدَّ ناظرُها ... وعينُ قلبك بالأنوار تكتحلُ

النفسُ ناظرها والعينُ إثمدُها ... والعينُ ميْلٌ فنعمَ العينُ والكحلُ

فغذِّها بحلالٍ واحمِ ناظرها ... من الحَرَام فمِنْه يحدثُ السبلُ

وقال ابن زيدون : [٣٧]

سأقنَعُ منكِ بلحْظ البصرْ ... وأرضى بتسليمكِ المُختَصَرْ

أصونكِ من لحظاتِ الظّنون ... وأُعْليكِ عن خَطَراتِ الفِكَرْ

وأحذرُ من لحَظاتِ الرقيب ... وقد يُستَدامُ الهوى بالحذَرْ

وفي ذلك يتبين أن هذه العفّة في شعر الأندلسيين هي التي تفسّر ما في شعرهم من الزّهد الكبير و الرضا بالقبول ممن يعشقون بأقل القليل ، وكان حظّ بعض الشعراء " أكبر كثيراً إذا استطاع أن ينال منها سلاماً باليد ، أو الشفتين " [٣٨] .

وقد زعم بعض الشعراء أن المرأة مخلوقةً من غير مادة خلق البشر ، وأن الله تعالى خصّها دون خلقه بمادة خلْق أخرى ، قال عبد الرحمن بن هشام الملقّب بالمستظهر : [٣٩]

غزالٌ براه الله من نور عرشه ... لتقطيع أنفاسي وليس من الإنسِ

وهبْتُ له مُلكي وروحي ومهجتي ... ونفسي ولا شيءٌ أعزُّ من النفْسِ

وقال الأعمى التطيلي : [٤٠]

جسمٌ بَراه الإلهُ حينَ صوّره ... من ماء لؤلؤةٍ والنّاسُ من طِينِ

وحاشَ للهِ أن يُعْزَى إلى بَشَرٍ ... أو أن يُضَاف لحُسْن الخُرّدِ العينِ

وهي في نظر ابن زيدون : (٤١)

ربيب مُلْك كأنّ الله أنشـــــأهُ مِسْكاً ، وقدّر إنشاء الورى طيـنا
أو صاغَهُ ورِقاً مَحْضَاً وتوّجَـه من ناصع التّبْر إبداعاً وتحسينا

أما ابن حزم فإنه يستغرق في حيرته ؛ لعدم قدرته على التمييـز فـي ماهيّـة صاحبته ، و حقيقة خَلْقها ؛ لفرط جمالها ، قال : (٤٢)

أمِنْ عالم الأفلاك أنتَ أم انسيُّ أبِنْ لي فقد أزرى بتمييزي العـيُّ
أرى هيئةً إنسيّةً غيـر أنّـه إذا أُعْمِلَ التفكيرُ فالجرمُ علـويُّ

وقال ابن خاتمة الأنصاري : (٤٣)

يهتزُّ عن قامةٍ سبحان مبْدِعها قد توّجتْ وجْنةً : تباركَ اللـهُ
لولا تجنّيه قلتُ : الخُلْدُ منشؤه وأنّ رضوانَ في الفردوس رَبّـاهُ

وقد " استطاعت المرأة – رغم كل الضواغـط الدينيـة – أن تلعـب دوراً رئيسياً ، أوضح مظاهره أنها استولت على فكر الرجل ، وندر بين الأندلسيين مَـنْ اعتبر المرأة كائناً شرّيراً "(٤٤) ، وقد عبّر ابن خفاجة عن منزلـة المـرأة فـي مجتمعها ، وشدّة تعلّق أفراده بها في قوله : (٤٥)

محبّته ديني ومثواه كعبتي ورؤيته حجّي وذكراه قـرآني

وقال الرمادي في مقدّمة قصيدة مديح : (٤٦)

في أيّ جارحةٍ أصون معـذّبي سلمتْ من التعذيب والتنكيـلِ
إنْ قلتُ في عيني فثَمّ مدامـعي أو قلتُ في قلبي فثمّ غليلـي
لكنْ جعلتُ له المسامعَ موضعاً وحجبتُها عن عذْل كلّ عذولِ

كما أشاد الشعراء بعفّة المرأة ، وأثنوا على طهارتها ، ونقاء سـويرتها ، وعدم انسياقها وراء الشهوة والغريزة ، فكانوا يصفونها بالصون وعدم الابتـذال ، والاحتماء بالعفّة درءاً للفاحشة ، محافظة على جو اللقاء بالرجل من الانزلاق فـي

الفواحش ، والانتهاكات الغريزية التي تتحكّم بها الشهوات ، واتقاءً للمواقف التي تثير الفورة الجسدية ، قال ابن طفيل : (٤٧)

ولمّا التقينا بعْدَ طولِ تهاجرٍ ... وقد كاد حبلُ الودّ أن يتصرّما
جَلَتْ عن ثناياها و أومضَ بارقٌ ... فلم أدرِ مَنْ شقّ الدُّجُنّة منهما
فقالت وقد رقّ الحديثُ و أبصرتْ ... قرائنَ أحوالٍ أذعْنَ المكتّما
نشدْتُكَ لا يذهب بك الشوقُ مذهباً ... يهوّنُ صعباً أو يرخّصُ مأثَما
فأمْسَكتُ لا مُستغنياً عن نوالها ... ولكنْ رأيتُ الصّبْرَ أوفى و أكرما

كما استطاعت المرأة أن تعبّر عن رغبتها العاطفية بصورة لا تقلُّ عن الرجل ، في مدار الوصل بينهما ، وتمكّن الشعراء من التعبير عن هذه الرغبة النسويّة ، بيْد أنهم لم يقفوا عند الاستسلام الواضح والصريح لهذه الرغبة الشهوانية الغريزية ، دون الغَوْص في أعماق هذه الظاهرة ، والتخلّص من كبرياء المرأة وتمنّعها ، وما يمكن أن يخلص إليه الباحث في هذا المدار، هو أن هذا الوصف للمرأة لا يعدّ وصفاً لها فحسب ، بل وصفاً للحالة العاطفية للرجل .

وعلى الرّغم من هذه المنزلة للمرأة ، وموقعها من نفوس الشعراء ، فإنهم صوروها – أحياناً – بعدم التمنّع أو الصدود ، وجعلوها هي التي تطلب الرجل ، وتسعى إليه ، دون أن يكون ذلك عيباً عليها ، في مثل قول الجيّاني : (٤٨)

و طائعةِ الوصالِ عفَفْتُ عنها ... وما الشيطان فيها بالمُطاعِ

وقول ابن خاتمة الأنصاري : (٤٩)

زارتْ على حَذرٍ من الرُّقباء ... والليلُ مُلتَفٌّ بفضْلِ ردَاء

ومما يسترعي الانتباه أن بعض الشعراء يستعين على تمنُّع المرأة بالسُّكر ، لتصبح مستسلمة لدواعي الوصل ، فيجعلونها تقدّم للشاعر منهم ما يشتهي ، بل نجد بعضهم يبالغ في ذلك ليصل إلى أنها منحته أكثر مما كان يتمنّى ، إلا أنه يعفُّ عندما يتمكن منها ، قال البسطي : (٥٠)

وكم متَّعتْني من لذيذ وصَالــها ... بما لمْ تَصِلْ نفسي له بتوَهُّـــمِ
فقبّلتُ منها الخدَّ وهو مـــــوردٌ ... وثنّيتُ بالثّغر المليح التبسُّـــــمِ
فمالتْ لفرطِ السُّكر وهي مريضةٌ ... كميْل الصّبا صُبْحاً بغصْنٍ منعَّـمِ
ولولا عفافي واتقاءُ عتابِـــــها ... تمتّعتُ منها بالمحلّ المُحَـــــرّمِ

****

صـــــورة الرجـــل

اهتم الشعراء بإبراز سمة العفّة في سلوكهم ، وجعلوا ذلك في حال إتاحـــة الفرصة لهم للوصل بالمرأة ، وغياب الرقيب أو الواشي مـــن البشـــر ، والإيمـــان بوجود الله سبحانه وتعالى ، في كلّ زمان ومكان ، دلالة إيمان ، وقوّة عزيمـــة ، بما ينسجم مع الثقافة السائدة في المجتمع الأندلسي، قال ابن زمرك الغرناطي : (٥١)

لقد عَلِمَ الله أني امـــــــروٌ ... أُجرِّرُ ذيْلَ العفاف القشيـــــب
فكم غمّض الدهر أجفانـــــه ... وفازت قداحي بوَصْل الحبيـــب
وقَيل رقيبُك في غَفْلـــــــة ... فقلتُ : أخافُ الإلهَ الرقيـــب

وقد " استطاع ابن خفاجة أن يعبّر عن الأسباب الخُلقية لعفته " (٥٢) ، في مثـــل قوله : (٥٣)

فإنني والعفافُ من شيمي ... آبى الدنايا وأعشقُ الحَسَنَـــا
طوراً مُنيبٌ وتارةً غَـــزِلٌ ... أبكي الخطايا وأنْدبُ الدِّمَنَـــــا

و كان الشاعر يفاخر بما يتمتّع به من جمالٍ وآداب ، وأخلاقٍ وطيـــب حديـــث ، وفي ذلك تعبير عن نرجسيّة الشاعر في تمجيد الذات ، قال المستظهر بالله :(٥٤)

وعَنديَ ما يُصبْي الحليمةَ ثيباً ... ويُنسي الفتاةَ الخَوْدَ عُذْرتَها البِكْرا

جَمالٌ وآدابٌ وخُلْقٌ موطّـــأٌ ولفظٌ إذا ما شِئتَ أسْمَعَك السِّحـْرا

وحرص الشاعر على أن يطلب من صاحبته إخفاء ما بينـهما مـن مـودّة وعشق ، حذر المساس بكرامة صاحبها وأخلاقه ؛ لما لذلك من أثرٍ غـير محمـود يعود عليهما ، لسبب من أعراف اجتماعية راسخة ، لها امتدادٌ ديني ، قال أبو بكر الأبيض : (٥٥)

كونيْ على حذَرٍ فـــإنّ عُداتَنا يترقّبونكِ بالمكان البلقَـــعِ
فإذا لقيْتِ سَرَاتهُمْ فتقنّعـــي حذَراً على خُلُق الهُمـام الأروَعِ
لُفّي بَنَانَكِ بالرِّداءِ وسلِّمـــي تَكفي الكريمُ إشارةٌ بالإصْبَـــعِ

ونأى الشعراء بأنفسهم عن مظنّة الوقوع في الفاحشة ، والابتعاد عـن التبـاهي بالتهتّك والفجور ، قال الرمادي : (٥٦)

فلو تبصر المُضنى وبَذْراه حولَه لقلتَ السُّها من حوله القمـرانُ
وما بيَ فخْرٌ بالفجور وإنّـما نصيبُ فجوري الرّشفُ والشفتانُ

وأشار الشاعر نفسه إلى مروءته في الحبّ ، انطلاقاً من عمْـق إيمانـه بعـدم المجاهرة في العصيان ، والخروج عن حدود الشرع ، قال : (٥٦)

مروّة في الحبّ تنهى بـــأن نُجـاهرَ اللهَ بعصيـــان

وربط الشاعر عفّته عند المقدرة والتمكّن ، فلم يعد التمنّع والحرمان هما المـانع من وصل الشاعر بصاحبته ، وإنما عفّة الشاعر هي التي تحول بينه وبيـن تلبيـة هذه الرغبة الشهوانية ، مؤكّداً جلده ، وشدّة بأسه ، قال ابن سارة الشنتريني : (٥٧)

وزائرٍ زارَ في ليلٍ كلمّتـــه فقامَ عَندي إلى صُبْحٍ كغُرّتـــهِ
نادمْتُهُ والهوى العُذْريُّ ثالثُنـــا والرّاح تنضَحُ في عَقلي كـغلّتهِ
لما تناولَ منها فوقَ حاجتـــه ومالَ كالغُصْن محتاجاً لنوْمَتـهِ
عففتُ عنه عفافَ الحـيّ مُقتدراً وعفّة المرءِ فضْلٌ عَنْدَ قُدْرَتـهِ

ففي هذا المشهد الذي صوره الشاعر للحظة المتأججة من لحظات اللقاء ، تأبى القيم التي هي جزء من وجوده ، إلا أنْ تفرض سلطانها عليه ، فتأبى عليه إلاّ أن يعفّ ، ويترك صاحبته مسترخية آمنة في نومها .

أما أبو القاسم المعروف بالمنّيشي الإشبيلي فقد دفع بصاحبته بكفيه حين استسلمت لدواعي الوصل ، قال : (٥٨)

غلاميّة ليس في جسمها ... مكانٌ دقيق سوى خصرها
إذا أدبرتْ أو إذا أقبلتْ ... ففي فرّها الموتُ أو كرّها
ولمّا خلونا ورقّ الكلامُ ... دفعتُ بكفيّ في صدرها

ومن الشعراء مَن جعل نصيبه من صاحبته الحديثَ إليها ، والاستمتاع بطيب لقائها ، قال ابن خاتمة الأنصاري : (٥٩)

فاسْألْ بطيبِ حَديْثِ لَيْلتِنا ولا ... تَغْفلْ عَفافي عَنْدَها وَوَقَاري

وكان الشعراء ينزّهون المرأة عن النظر إليها ، يضيفون إلى ذلك حُسن التعبير عن رغبة الشاعر منهم في السموّ بنفسه ، وعلوّ همته ، والترفُّع عن كل ما يسيء لصاحبته ، وما يمكن أن يؤدي إلى غير ما يليق بها ، وما قد يمسّ دِيْنَ الشاعر وعرضَه ، قال ابن جُزَيّ الكلبي : (٦٠)

وكم صفحةٍ كالشمسِ تبدو ... فيُسْلي حُسْنُها قلبَ الحزينِ
غضَضْتُ الطّرْفَ عن نظري إليها ... محافظةً على عِرْضي ودِيني

وفي المعنى ذاته يندرج قول ابن حزم : (٦١)

إذا لم أواقعْ مَحْرَماً أتقي بهِ ... مجيئي يوم البَعْثِ والوجهُ باهِتُ
فلستُ أُبالي في الهوى لومَ لائمٍ ... سواءٌ لعمْري جاهرٌ أو مخافتُ

وفي باب الترفُّع عن الفاحشة ، والسموّ بالنفس إلى أعلى مراتبها ، وضبط العلاقة بين الطرفين بضابطٍ ديني ، انطلاقاً من عقيدة الشاعر ، وإيمانه بما وضّح الشرع ، من حيث تنظيم العلاقة بين الرجل و المرأة ، قال ابن حزم : (٦٢)

خضعت خضوع قلب مستكيـــن له ، وذللت ذلة مستهـــــام
فصلني يا فديتك في حـــــلال فما أهوى وصالا في حـــرام

كما أبدى الشاعر حرصه على عدم المساس بكرامة صاحبته ، أو انتـهاك حرمتها ، حين تبدي له استعدادا آمنا ، يبين فيها أثر العفة في سلوكه ، وسـيطرتها على نفسه ، وتمكنها من فؤاده ، عبر عن ذلك بطرافة معنى ، وطلاوة أســلوب ، بمثل قول ابن بقي : (٦٣)

حتى إذا مالت به سنة الكـــرى باعدته شيئا وكان معانقـــي
زحزحته عن أضلع تشتاقـــه كي لا ينام على وساد خافـــق

وقول لسان الدين بن الخطيب : (٦٤)

فلما بدت للراح فيه ارتياحـــة ومالت شمال للشمول بقـــده
توســد أضغاث الرياحين وانثنـــى يغط غطيط الطفل من فوق مهده
فبايعت سلطان العفاف ولم أجـــز على فكرتي غير الوفاء بعهـده

وفي ذلك يرد ما نسب لأبي جعفر الخولاني : (٦٥) .

حتى إذا غازلت أجفانه سنـــة وصيرته يد الصهباء طوع يـــدي
أردت توسيده خدي وقل لـــه فقال كفك عندي أفضل الوســـد
فبات في حرم لا غدر يذ عـره وبت ظمآن لم أصدر ولـــم أرد

لقد عبر الخولاني عن هذه الظاهرة أصدق تعبير " فكأنما بات في جوار صاحبتـه في حرم مقدس ملتزما للعفاف ، لا ينقع غلة حبه بري منها ، ورشف المنهل طـوع يده ، وهو لا يرده ولا يصدر عنه ، بل يكتفي بالنظر للخدود والوجنات " (٦٦)

إن ما ورد في النصوص الماضية هو تقرير القيمـــة الذاتيـــة للشـــاعر ، وتأكيد أصالتها في وجوده الفردي بشكل خاص ، ومنزلته في محيطه الاجتمـــاعي بشكل عام .

وإنّ ما ورد من وصفٍ لبواعث الفتنة في المرأة المتمثّلة في جسدها ورغبتها ، وعملٍ على إبراز هيجان المشاعر بين العاشقين لم يكن مقصوداً لذاته فحسب ، بل هو تعبير حقيقي عن تعظيم قيمة العفة لدى مجتمع الشعراء ، الذي يعدُّ انعكاساً طبيعياً عن رؤية مجتمعهم إزاءها.

ومما ينبغي التنويه له في هذا المقام أن الشعراء لم تُكبَتْ رغباتهم ، بيدَ أنها لم تصل إلى غايتها المنشودة المتعلّقة بالشهوة الغريزية ، إذْ حيل بينهم وبين ما يشتهون ، و بقيت لديهم المتعة الحسيّة من المجالسة ، والمحادثة والنظر إلى محاسن المرأة ، والاستمتاع بالعناق وما شابه.

وفي كل الأحوال فقد ظلَّ الشاعر – في كلّ ما ينظم في ذلك – ملتحفاً بالعفاف " المفطور عليه ، يردُّ بعنفٍ جمحات عواطفه ، وغرائزه ، سامياً بنفسه عن عالم الحيوانية ، والغريزة النوعية ، إلى عالمٍ كلُّهُ سموٌّ ونقاء وطهر " (٦٧) .

الأسلـــــوب :

اتسم هذا اللون من الشعر بالجرأة الفنيّة الواعية ، والقدرة على وصف ما يجري بين الشاعر وصاحبته ، وإبراز النزاع الداخلي الذي يعيشه الشاعر : بين الرغبة في التمتُّع بالوصال مع صاحبته ، والرغبة عن اقتراف فاحشةٍ تأباها النفس، واتسم بإبراز قدرة الشاعر الفنيّة على التحكُّم في رغباته ، وكبح جماح نزوات النفس ، وشهوة الجسد ، والاكتفاء بالحديث عن فرحة اللقاء ، والفرصة المتاحة للوصال ، وإمكانية تحقيق الغريزة ، بعد أن يصوّر مشهد لقاء آمناً ، مع فتاة استسلمت لدواعي الوصل ، لا تمانع أن يجالسها في مضجعها ، بعيداً عن مظاهر الخوف والحذر ، وما يمكن أن يعكّر صفو هذا اللقاء ، في مثل قول صفوان بن إدريس: (٦٨)

ضاجَعْتُهُ والليلُ يذكي تحتــه ... نارين من نَفَسي ومن وَجَناتــه
بتنا نُشَعْشِعُ والعفافُ نديمُنَــا ... خَمْرَين من غَزَلي ومن كلماتــه

فضَمَمْتُهُ ضمَّ البخيل لمالـــــه ... أحنو عليه من جميع ِ جهاتـــــه
حتى إذا هام الكرى بجفونـــــه ... وامتدّ في عضديّ طوع سِناتـــــه
عزمَ الغرامُ عليّ في تقبيلـــــه ... فنفضتُ أيدي الطوع من عزماتـــــه
وأبى عفافي أن أقبّلَ ثغـــــرَه ... والقلبُ مطويٌّ على جمراتـــــه
فاعجبْ لملتهب الجوانح غلّـــة ... يشكو الظما والماءُ في لهَواتـــه

إن ما يُلحظ على هذه الأبيات أن الشاعر قد بالغ في وصف هذه الحالـــة ، ولا نظنُّ أن هذا الوصف لواقع حال ، ولا نعتقد بوجود مناخ ٍ من السماح والتبسُّط يتيح للمرء أن يصف علاقته بامرأة على النحو المذكور فـــي الأبيـــات الســـابقة ، لاسيما في مجتمع ما زال يحافظ على العادات والأعراف الاجتماعيـــة ، ويتمسّـــك بغير قليلٍ من الدين والخُلُق ، حتى ولو كان هذا التمسُّك ظاهرياً [٦٩] ، و ما نحسـبه أن الشاعر قد أشبع حاجته النفسية والفنّية ملتحفاً برداء العفّة ، دون أن يكون لـــها بُعْدٌ واقعي .

ويُعدّ النص السابق أنموذجاً فنيّاً لبناء النص الشعري ، حيث يبدأ النص مـن نقطة معيّنة ، ثم يتنامى الحدث وتتفاعل عناصره ، وتتسع حركته حتى يصل إلـــى مرحلة الذروة ، وهي الوصول إلى الغاية المنشودة ، ثم ينتهي الحدث إلـــى الحـــلّ الذي يريده الشاعر وهو العفّة عند المقدرة .

ومن السمات العامة لهذا الشعر قلّة مظاهر اليأس والحرمـــان ، أو الـــترقّب والحذر ، أو الحديث عما يلاقيه الشاعر من عناء ومشقّة ، ومنغّصات تحول بينـــه وبين لقاء صاحبته ، والاستمتاع بهذا اللقاء ، وهذا الجانب هو ما يميز هذا الشـــعر مما بدا واضحاً في شعر الغزل التقليدي بعامة ، والغزل العذري بخاصّة ، قال ابـن خاتمة الأنصاري : [٧٠]

زارتْ على حَذرٍ من الرقبـــاء ... والليلُ ملتفٌّ بفَضْـــل رداءِ
تصل الدجى بسواد فرعٍ فاحمٍ ... لتزيد ظلماءً على ظلمـــاءِ

فوشى بها من وجهها وحليّـــها بدْرُ الدُّجى وكواكبُ الجـــوزاءِ
أقسمتُ لولا عفّةٌ عذريّـــــةٌ و تقىً علي له رقيـــبٌ راءِ
لنقعتُ غُلّةَ لوعتي برضابـــهـــا ونضحتُ وَرْدَ خدودها ببكائـــي

واتسم هذا الشعر بميله إلى الإيجاز ، وكثافة المعنى ، دون الحاجة إلـــى التفاصيل الوصفية ، والاكتفاء بالإشارة العابرة ، واللمحة السريعة ، مما جعله يميل إلى المقطعات الشعرية القصيرة في أغلب الأحيان ، وعدم الميـــل إلـــى القصيـــدة الطويلة ، فكانت هذه المقطعات تتشكّل من بيتين فأكثر ، و لا تتجـــاوز المقطعـــة الواحدة منها عشرة أبيات ، سواءٌ أكان ذلك في قول الشعر لذاته أم كـــان مقدّمـــة لقصيدة في المديح ، وبذلك فإنها تدخل في معاني المديح ' و لا يتجاوز حظّها مـــن القصيدة بضعة أبيات يعبُرُ الشاعر من خلالها إلى غرضه .

وتصف هذه النصوص الشعرية لقاءً طارئاً ، لا يتسم بالديمومة – غالبـــاً – كما تقوم على وحدة الموضوع ، وتتجلى مظاهر هذه الوحـــدة فـــي المضمـــون ، ووحدة السياق النفسي الذي يفرزه النص، ويريد الشاعر إثارته فيه .

ويستبدُّ الجانب الانفعالي باهتمامات الشاعر في النص ، مما يعطيه قبـــولاً نفسياً وعاطفياً ، والغاية من ذلك إبقاء جذوة العشق متقدة بين الشاعر وصاحبتـــه ؛ لأن العاشق متى ظفر بالمعشوق ، وإن كان ذلك مرة واحدة ، نقص عشقه بدرجـــة كبيرة. (٧١)

ويتردد النص الشعري بين عفّة المحبّ ، ورغبة المحبوب في الوصـــل ، ينشد الأخير الشهوة ، وينشد الآخر المتعة في لحظة اللقاء ، إذْ توحـــي المقطعـــات الشعرية بأنها تمثل نقيضين في المعنى، بيْدَ أن هذا التناقض ، والتضاد بين الشـــاعر وصاحبته هو الذي يشكّل اكتمال النصّ من ناحيتيه : الفنية والموضوعيّة ، ويؤكّـــد الأُلفة بينهما ، ويكتسب من مجموعهما قيمته الأخلاقية والدينية التي هـــي مبتغـــى الشعراء في هذا الأمر .

لقد أدرك الأندلسيون قيمة العفّة في حياتهم ، ولا ينبغي للمرء ادعاءها ما لم يتعرّض للفتنة ، وأن هذه القيمة تتمثّل في عدم سقوط المرء أو انحرافه أمام مواقف الإغراء ، والتحكُّم في رغباته ساعة استسلام المحبوب ، و التمكّن من اقتراف جناية الاتصال الجسدي معه ، ولذلك كان المعيار الذي يتحكّم بسلوك الشاعر هو معيار العفة ، مهما كان مصدرها ؛ ليكون الشاعر مثالاً للفضيلة والوقار في ساعة الإغراء والفتنة.

وعلى العموم فإن تمجيد الذات ، والبحث عمّا يميز المرء من غيره في سلوكه كانا تخلُّقاً لا خلقاً عند بعض الشعراء أمثال الرمادي ، وابن خفاجة ، و **الخولاني** ، وآية ذلك ما سيق في النصوص التي تعالج هذا الموضوع من عفّة مصطنعة ، جيء بها لما تحمله من قيمة دينية واجتماعية ، في حين أنّ لهؤلاء الشعراء و أضرابهم شعراً صريحاً في الفحش والتهتُّك .

واعتمد الشعراء على الأسلوب الحكائي من خلال السرد القصصي في بنية النص ، واستعملوا الصيغ التي تدلّ على الماضي ، و اتخذوا من الحوار صيغة فنية ، وجسراً للتعبير عن أفكارهم ورؤيتهم إزاء الموقف الانفعالي الذي يعيشه الواحد منهم ، وإجراء الحوار الثنائي المتخيّل سواءٌ كان هذا الحوار ذاتياً ، أو واقعاً بين الشاعر وصاحبته ، وما يبرز فيه من رغبة المحبوبة ، وعفّة المحب ، قال الحصري الكفيف [٧٢] :

قالت : وهبْتُك مُهجتي فخذ ... ودعِ الفراشَ ونمْ على فخْذي
وثنتْ إلى مثل الكثيب يدي ... فأجبْتُها : نِعْمَ الأريكةُ ذي
وهممتُ لكن قال لي أدبي : ... بالله من شيطانها استعذِ
قالت : عففتَ فعفْتَ قلت لها: ... مُذْ شبْتُ باللذات لمْ ألذِ

إنّ هذا المشهد الحواري يتكرّر في شعر الشعراء في أكثر من صورة ، وينتهي بنتيجة واحدة تواطأ عليها الشعراء ، بيْدَ أن النهاية المقررة في المشهد الحواري

تبقى ثابتةً لا تتغيّر بتغيُّر المشاهد ، أو بتغيّر الشعراء ، قال عبد الملك بن شهيد[٧٣]:

ويْلي على أحْوَرَ تيّاهِ ... أجدُّ فيه وهو بيْ لاهِ
أقبل في غيْدٍ حكيْنَ الظبا ... بيض تراقٍ حمْر أفواهِ
يأمر فيهنّ وينهى ولا ... يعصينه من آمرٍ ناهِ
حتى إذا أمكنني أمره ... تركتُه من خشية اللهِ

وقال ابن الأبار الخولاني :

وأطعتُ سلطان العفاف تكرّماً ... والمرء مجبول على عاداته

وقال صفوان بن إدريس :

وأبى عفافي أن أقبّل ثغره ... والقلب مطويٌّ على حسراته

وفي مثل ذلك قول أبي الوليد بن حزم :

أطارحه حلو العتاب وربّما ... تغاضيتُ ، فاسترضيتُه ببكائي
على حاجةٍ في النفس لو شئتُ نلتُها ... ولكنْ حَمَتْني عفتي وحيائي

وقول ابن الخطيب [٧٤] :

فبايعتُ سلطان العفاف ولم أجز ... على فكرتي إلا الوفاء بعهده

فيما مرّ من النصوص نلحظ أن العفّة هي الأساس الذي يتمحور حوله النص، باعتبارٍ أن ما ورد من شعر يشكّل تجسيداً كاملاً للمعنى ، وتشكّل العفةُ في الخطاب الشعري تحوّلاً فنياً فيه .

اللغـــة

سخّر الشعراء إمكاناتهم اللغوية ، وطاقاتهم التعبيريـــة ، وقدرتـــهم علـــى تشكيلها في النصوص الإبداعية ، واستغلال جماليات اللغة في التعبير عن المعاني، فكان اعتمادهم على الألفاظ التي تحمل دفقاً شعورياً عالياً ، وتكتنز بذاتـــها طاقـــة انفعالية كبيرة ، فإن " المفردة عالم يفيض بـــالقوّة وينبـــض بالحيـــاة " .(٧٥) لذلـــك ظهرت في شعرهم ، اللغة المأنوسة المشرقة الواضحة ، البعيـــدة عـــن الغريـــب والمتكلّف ، القادرة على التأثير في المتلقي بجرسها ، وما تؤديه من إيقاع فطن لـــه ولأهميته القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني حين قال : " الكلام أصوات محلّها من الأسماع محلّ النواظر من الأبصار " (٧٦) ، كما كانت لغتهم الشعرية قـــادرة على نقل تجاربهم التي يبدو عليها الجيشان العاطفي ، من خلال قوّة الإيحـــاء فـــي مجال التعبير العاطفي مثل: (ضاجعته ، ضممته ، الورع ، العفـــاف ، الغـــرام ، أُقبّل) ؛ لنقل تجاربهم الفنيّة التي تعالج موضوع العفة ؛ مما أعطى شعرهم قيمـــةً لغوية وفنيّة متميّزة " فاللغة الشعرية ... تؤلّف جانباً مـــهماً مـــن جوانـــب القيمـــة الجمالية للقصيدة باعتبار أن للكلمات سلوكاً " (٧٧) ، لها ارتباطاتها الجدليـــة " فـــي ضوء تحليل المعنى الذي تقرّره طبيعة ذلك السلوك " (٧٨) .

وقد استغلّ الشعراء الشحنة الدلالية للغة ، وما تثيره " بفضـــل خصـــائص صياغاتها من انفعالات عاطفية و إحساسات جمالية ، فقد أثّرت هذه اللغة بالمعـــاني التي طرقها الشعراء ، فاتسمت المعاني بسببها بالوضوح " (٧٩) ، وقرب الدلالـــة . ليس فيها تكلّف أو إغراق في الخيال ؛ لما لهذه اللغة من آفاق رحبة كانت منطلـــق إبداعات الشعراء ، حيث كان الشاعر منهم يفرض إرادتـــه الفنيّـــة فـــي تحريـــك المشاعر والأحاسيس ، من خلال اللغة القادرة في دلالتها على الانفعال ، و ترتفـــع بتركيبها عن مستوى الكلام المألوف والمعتاد ، فبدت على الخطاب الشعري الصيغ الفنية ذات الدلالات العاطفية التي تعكس طبيعة تجاربهم ، لما تميّز به الشعراء مـــن إحساس لغوي دقيق، أثّر في الصدق الفني في شعرهم ؛ بسبب تناسق الألفاظ مـــع معانيها في السياق الشعري الواحد .

ولا يقف الشاعر في استعمال ثرائه اللغوي عند حدود إنتاج نصوص لغوية فحسب ، فقد تجاوز ذلك إلى إنتاج أعمال أدبية إبداعية غنيّة بمضامينها ؛ لمعرفته بما تختزنه الألفاظ من سياق معرفي وثقافي ، وما شُحنت به من دلالات متعددة ومختلفة في تطوّرها الدلالي .

وأفاد بعض الشعراء من صيغة التصغير في اللغة ؛ لتكون جزءاً من النسيج اللغوي للنص ؛ لِما تحمله من جرْس إيقاعي ، و دلالات محبّبة بذاتها ، وما تحمله من مقوّمات التأثير العاطفي ، قال ابن خاتمة الأنصاري [٨٠] :

تهبُّ نسيمات الصَّبا من ربا نجْدِ فَيَنْفَحْنَ من طيبٍ ويَعْبَقْنَ من نَدِّ

وقال في موضع آخر :

شويدنٌ صاغه باريه من فتَنٍ أعدى الخطوب على الإنسان مرآه

وقد ظهرت أسماء الأماكن التي طالما وقف عندها الشعراء ، وشهدت ملاعب الصبا ، وترسّخ ذكرها في الذاكرة الفنيّة العربية ؛ لما تحمله من دفْق شعوري عالٍ، قال ابن بقيّ [٨١] :

بأبي غزالٌ غازلَتْهُ مُقلتي بين العُذيب وبين شطّي بارقِ

وسألتُ منه قبلةً تشفي الجوى فأجابني فيها بوعدٍ صادقِ

وفي نصٍّ آخر يقف ابن خاتمة الأنصاري عند تلك الأماكن ، والإشادة بذكرها ، والتغنّي بجمال طبيعتها ، أرضاً ونباتاً ، ويمدّ بينه وبينها جسراً من الودّ والحبّ ، ولم يكن ذكرها غاية في ذاته ، وإنما يكنّي بها عن أماكن لقاء أحبّته في الأندلس ، وتمثّلت بها العفّة بأتمّ صورها في وقتٍ يغيب فيه الواشي والرقيب والعاذل والكاشح : [٨٢]

تَهبُّ نسيمات الصَّبا من رُبا نجْدِ فَيَنْفَحْنَ من طيبٍ ويَعْبَقْنَ من نَدِّ

وما ذاك إلاّ أنهنّ يَجلْنَ في معاهدنا بين الأثيلات والرّندِ

هناك الثرى يُربي على المِسْك طيبُهُ و دوْحاتهُ تُزري على العنبر الوردِ

معاهد نهواها وتهوى لقاءنـــــا بها قد مضى حُكْمُ العفاف على الودِّ
على حين لا واشٍ يفوه بريبـــــةٍ ولا عاذلٌ يعدو ولا كاشحٌ يُعـــــدي

وخلاصة القول أن الشعراء استغلوا دقّة اللغة في مدى قدرة دلالتها علـــى الانفعال ، و لم يتعسّفوا في استخدامها ، فبدت واضحة ليّنة ، وسهلة مشـوقة ، ذات دلالات عاطفية عالية ، مما أعطى المعاني حقّها من الوضوح ، بحيـــث لا يبـدو عليها الغموض الذي يجعلها محتاجةً للشرح والتوضيح .

الصورة الشعريّة والمعنى :

ترتبط الصورة الشعرية ارتباطاً وثيقاً بالمعنى ، وقدرتها علـــى توصيلـه للمتلقّي هي المقياس الحقيقي لجودتها وجمالها ، وفاعليتها في تشكيل النص ، لذلـك كان لدى الشاعر القدرة الكبيرة على صناعـــة المواقـف ، وتحريـك الأحـداث ، والتفاعل معها ، والتحكّم بمجرياتها فنيّاً . ومن هنا فقد كان حظّ هذا الشـــعر مـن الصورة الشعرية المشكّلة للنص قائماً على التشبيهات الواضحة ، المســـتمدّة مـن الطبيعة الأندلسية الزاهية ، وبما لا يبتعد عن أداء الغرض كما مـــرّ ، بيـد أنـها طريفة المعاني ، رقيقة الأسلوب ، دقيقة الصنعة .

وقد تجلّت هذه الصور على هيئات متعددة ، كالصورة البصرية أو السـمعية أو الشميّة أو المستمدة كينونتها من الألوان التي يظهر من خلالها كَلَـف الشـعراء بألوان بأعيانها ، وأكثر ما يبدو ذلك في الألوان الفاتحة ،إلا أن أغلب هذه الصـور كانت من الصور المألوفة ؛ كدقّة الخصر ونرجسـيّة العينيـن ، وثقـل الأرداف ، واسترسال الشعر وسواده أو شقرته ، مع ملاحظة التفنّن في هذه الصور المطروقـة بحيث تبدو مستحدثة ومجتلبة .

ويعود السبب في ذلك إلى اهتمام الشعراء في خطابهم الشـعري بـالتحليل النفسي ، وإثارة العاطفة ، وتصوير الأشواق ، وتركّزه – غالباً – علـــى تجسـيد المعاني المجرّدة ، وتشخيصها ، وبثّ الحياة فيها ،وإنزالـــها منزلـة المحسـوس

والمسموع والمرئي ، وبذلك يتداخل الحسّي والمعنوي في النص الشعري الواحد ، وفي كلّ ذلك كان التصوير يعتني بالمعاني التي تشكل حضوراً في حياتهم العاطفية، وتشكّل لهم هاجساً نفسياً ، ترتقي بمستواها الفردي إلى المستوى الإنساني الرحب ، مع الابتعاد بالصورة الشعرية عن المجهول ؛ لتكون أكثر ثراءً لبنائه الفني .

وكان الشعراء يسعون من وراء الصورة الشعرية إلى بثّ الحيوية في الموضوع ، وإلى توضيح المعنى المقصود ، وجعله أكثر قرباً من فهم المتلقّي ، وخلق المُتْعَة الفنيّة لديه ، بسبب الأثر الذي تتركه في نفسه ، فضلاً على مواءمتها للسياق الذي وردت فيه ، وتناغمها مع عناصر الأدب الأخرى من تنغيمٍ ودلالةٍ و تركيب ، واجتمع فيها البساطة والجمال ، والسهولة والمتعة الفنية.

بْيدَ أن الشعراء لم يقفوا عند وصف مظاهر المرأة الخارجية ، والوصف الحسّي لأعضائها ، فيما يخصُّ مظاهر الجمال ، ومواضع الفتنة فيها إلا بما يخدم الغرض ، ولم يكن همّ الشاعر في أن يرى في صاحبته إغراءات جسدها ، وانقياد عاطفتها ، ليلبّي من خلالها شهوته ، قال ابن حزم[٨٣] :

غزالٌ قدْ حكى بدرَ التمامِ كشمْسٍ قد تجلّتْ من غَمامِ
سبى قلبي بألحاظٍ مِراضٍ وقَدِّ الغصْنِ في حُسْنِ القوامِ

وتجاوزوا ذلك إلى تصوير النوازع النفسية ، و لواعج الشوق التي تستعر بين الطرفين ساعة اللقاء .

وكانت لديهم قدرة على تشكيل صور ذهنيّة لمعانٍ غابت عن المحسوس ، ومن ذلك أنهم صوّروا العفاف بصورٍ مختلفة تدلُّ على قوّة إحساس الشاعرية لديهم ، فتارةً صوّروه بصورة صاحب السلطان والنفوذ ، يتحكّم بسلوكهم ، وينظّم حياتهم العاطفية ، قال ابن الأبّار الخولاني [٨٤] :

وأطعتُ سلطان العفاف تكرُّماً والمرءُ مجبول على عاداتِه

وتارة يصوّرونه بصورة النديم في مجلس الشراب ، ليكون أنيسهم في مجالس لقائهم بأحبّتهم ؛ لما للنديم من منزلة في النفوس ، وحسن الصحبة ، لما لجالسته من خصوصية في " ستر العيب ، وحفظ الغيب " [٨٥] والبعد عن النميمة ، مثل قول صفوان بن إدريس :

بتنا نُشَعْشِعُ والعفافُ نديمُنَا خَمْرَين من غَزَلي ومن كلماته

وفي ذلك يمنح الشاعر العفاف صفة إنسانية وهي صفة النديم ؛ فيخرج من المجال المجرّد إلى المجال المحسوس ، وفي ذلك يؤكّد فاعلية العفاف وموقف الشاعر منه .

وتارةً يصوّرونه بصورة الدرع الواقية لهم والذائدة عن وجودهم الروحي ، عند مظنّة الوقوع بالفحش المؤذن بالهلاك ، وتبدو فاعلية هذه الصورة في كونها غير محسوسة ، لكنّ أثرها واضح و محسوس ، وتتجلى في امتلاك العفاف القوّة والسطوة والقدرة على التحكُّم بالسلوك :

على حاجةٍ في النفس لو شئتُ نلتها ولكن حمتني عفّتي وحيائي

ومن المعاني المجرّدة التي تناولها الشعراء " المُنى " قال الشاعر :

و كم ليلة عاقرت في ظلها المنى وقد طرفت من أعين الرقباء

وقد أفاد الشاعر في هذا الموضع مما تتركه الخمر من نشوةٍ في نفس شاربها ، وقَصْدُ الشاعر من ذلك التدليل على أنه لا يقلُّ نشوةً عن شارب الخمر في هذا المشهد الشعري .

الأثر الديني :

كان لدى الشعراء القدرة الكافية على الإفادة من تجارب التاريخ المتماثلة مع تجاربهم ، وتمكّنوا من توظيفها في خطابهم الشعري ، دلالة على بصيرة نافذة في استلهام هذه التجارب ، فقد أبدوا قدراً فنياً عالياً في ذلك ، إذ لا يصوّرون

التجربة السابقة المنتخبة ، بل يصوّرون تجربة كلّ من تحيط به ظروفها ، بوصفها قصة إنسانية عامة ، دون التقيّد بجزئيات تلك التجربة ، أو بسياقها التـــاريخي ، و استطاعوا توفير الظروف المماثلة لها ، من حيثُ إمكانية حصول هذا الفعـــل مـــن الشخصية التي تحدثوا عنها ؛ الرجل أو المرأة ، فإن " المعنى في التجربة الأدبيـــة له وظيفة تبادل جدلي بين حقائق الماضي وإصرار الحاضر " (٨٦) .

وكان ما ورد في القصص القرآني ، خير باعث لهم للإفادة منـــه ، فيمـــا يخص مسألة العفة عند المقدرة ، وكان لقصة يوسف – عليه الســـلام – مـــع زوج عزيز مصر أكبر الأثر ؛ لما فيها من تشابه مع تجاربـــهم المتخيّلـــة ، ولا يقصـــد الشعراء التشبُّه بعفة الأنبياء وعصمتهم في هذا المدار ، إنما الغاية من ذلك تعظيـــم قيمة العفّة لديهم ، ويرد في هذا السياق قول ابن الأبّار الخولاني :

وهممتُ لكنْ قال لي أدبـــــي : بالله من شيطانها استعـــــــــذِ

فهو ينظر إلى قوله تعالى: " ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه " (٨٧)

ويبدو أن ابن الخطيب قد كان أكثر إفادة من الخولاني ، إذْ أفاد ممـــــا ورد في القرآن الكريم في أكثر من موضع ، في مشهدٍ واحد ، وهو ما يؤكـــد تمسّـــك الشعراء بالشريعة والروح الإسلامية في مثل هذه المواقف ، قال :

ولقد هممت بأن أروّي غـــلّةً لجحيمها بين الضلوع وقـــودُ
كم لؤلؤ نثرَ الحديثُ عقـــودَه نُظمت لشَمْل الودّ منه عقـــودُ
ولئن تحامانا الرّقيب فلم يـــرمْ عنّا رقيبٌ للعفاف عتيـــــــدُ

فقد ألمح في البيت الأوّل إلى ما ورد في سورة يوسف عليه السلام كمـــــا فعل الخولاني ، وفي البيت الثاني أفاد من قوله تعـــالى : " إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا " (٨٨) ، وفي المرة الثالثة أشار إلى قوله تعـــالى : " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد" .(٨٩)

كما نظر الحصري إلى ما ورد في الحديث النبوي الذي أشار إلى السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة بظله ، وذكر من بينهم " ... ورجل دعته امرأة ذات حسَبٍ وجمال ، فقال : إني أخاف الله " .

قالت : عففتَ فعفتَ قلتُ لها : مُذْ شبْتُ باللذات لمْ ألذِ

وقد عبّر ابن بُرْد الأصغر عن دهشته من خَلْق المرأة ؛ لشدّة جمالها ، وحلاوة حديثها ، وطيب لقائها ، فقد استلهم مشهد اندهاش مجتمع النساء اللاتي رأينَ يوسف عليه السلام ، بعد أن برز إليهن ، قال [٩٠] :

لما بدا في لازور ديّ الحرير وقد بهرْ

كبّرتُ من فرط الجما ل ، وقلت : ما هذا بشرْ

وفي ذلك ينظر إلى قوله تعالى : " وقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا ، إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ " [٩١] .

فقد استوحى الشعراء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، فيما يسمّى بالتناص" الذي هو طريقة من طرائق ربط نصّ بنصّ آخر ، وإدماجه في سياقه ، إلى غير ذلك من وسائل الحوار بين النصوص " [٩٢] .

وفي الوقت الذي حافظت على معناها في سياقها القديم ، فإنها اكتسبت دلالة جديدة في سياقها الجديد ، دون أن يصل الأمر إلى انقطاع ما بين السياقين ، مما يدلّل على بصيرة عالية ونافذة في الجانب الديني عند الشعراء.

الموسيقا والمحسّنات اللفظية :

تعدُّ الموسيقا واحدة من وسائل التأثير الفنّي في المتلقّي ، بما يتوافق مع المعنى المطلوب ، وطبيعة الغرض الشعري ، فكان الشعراء يميلون إلى الأوزان الخفيفة والسهلة ، والبحور المتميزة بعذوبة إيقاعها وانسيابيته ؛ لأن الوزن " يمثّل البنية الإيقاعية الأساسية في موسيقا الشعر " [٩٣] ، وكان اختيار الشاعر للوزن بما يتلاءم وحالته الشعورية ، ومن بين البحور المجزوءة الموسومة بسرعة الإيقاع البحر الكامل ، في مثل قول ابن الأبّار الخولاني [٩٤] : (مجزوء الكامل)

ومنعّمٍ غضّ القطـــاف عذبُ الغروب للارتشـــافْ

قد صِيغَ من درِّ الجمـــا لِ ، وصِينَ في صدفِ العـفافْ

يرفد ذلك جرس موسيقي داخلي منبعثٍ من الترجيع الصوتي للحروف وتردّدها في النص ، ففي البيتين السابقين نجد التردُّد الصوتي للحروف (ع ، غ ، ف) في عجز البيت الأوّل ، حسب ورودها في شطر البيت نفسه ، كما جاء حرف الصاد في شطر البيت الثاني ليتردّد إيقاعه مرّتين في عجز البيت نفسه ، فضلاً على ما في الجناس الواقع في (صيغ ، و صين) ، وما يشكّل ذلك من تكرار وتقابل إيقاعي ، يضاف إلى ذلك سكون القافية ، و إمكان تحريكها بالكسر ، مما يشكّل فضاءً نغمياً واسعاً ومؤثراً ،فإذا قُرئ النصّ بقافية مقيّدة يكون وزنه من مجزوء الكامل المُذيّل ، وإذا أُطلقت القافية يكون الوزن من مجزوء الكامل المرفّل .

وقد وظّف الشعراء المحسّنات – المعنوية واللفظية – توظيفاً أثرى الجانب الإيقاعي في النص ، من خلال ما يؤديه من جرْس موسيقي ، وإبراز ما في النص من أفكار ومعانٍ ، دون أن يطغى أيٌّ منهما على الآخر بشكل ملحوظ ، وقد أثّر ذلك في بنية النصّ تأثيراً هو أقرب ما يكون إلى التلقائية منه إلى التّصنُّع .

وكانت بنية الطباق أساساً رئيساً في البناء الفنّي لهذا الشعر ، لا سيما في المعاني التي يطغى عليها التناغم ، ونبض الحياة ؛ للتعبير عن المعنى ، واعتماده

على شحن الخطاب الشعري ، بمحسّنات التضاد والترادف والترصيع ؛ ليبهر وعي المتلقي فيما يولّد ذلك من ترددات نغمية ، وما يمكن أن يؤديه تجنيس القافية من تنغيم في النص ، يرفد ذلك تساوق في المعنى المراد ، إذ كانت أداة الشاعر في ترسيخ الاقتناع بإمكانية حدوث الفعل ، فهي عناصر تسهم في تشكيل الفاعلية الشعرية في النص ، وعندها تكون قادرة على أن تقنع المتلقي وتنال إعجابه في مثل قول الخولاني :

فورَعْتُ في حين الجنى وكففتُ عن فوق الكفاف

وعَصَيتُ سلطانَ الهوى وأطعْتُ سلطانَ العفاف

وقول أبي الوليد بن حزم :

وفي ساعدي حلو الشمائل مترفٌ لعوبٌ بيأسي تارة ورجائي

ويُعدُّ الجناس بجميع أشكاله ركناً رئيساً يستجلبه الشعراء ؛ لما يختزنه من ثراءٍ صوتيّ ، وما ينبثق عنه من لزوم ما لا يلزم ؛ لتكثيف الجانب التنغيمي للنص، سواءٌ أكان هذا التجنيس داخلاً في التشكيل الصوتي من داخله (الجرس الداخلي) ، أو من خلال تجنيس القافية ، و ما يشيعه في النص من موسيقا في مستواها الإيقاعي في مثل ما وقع في المثال السابق ، وفي مثل قول ابن خاتمة الأنصاري [٩٥] :

فيك الحديثُ وموْرِدُ الإنْشادِ و لك الخطاب إذا أراد الشادي

يا سَرْحةَ الوادي وظلّكِ وارفٌ مَنْ لي بجَعْل أفْوَديكِ وسادي

وللتورية نصيب مما جاء به الشعراء ، تحليةً للنصّ ، وقدرة على التصرّف بالمعاني ، قال ابن هذيل الغرناطي [٩٦] :

أتمنعُ أنْ أُقبّل منك كفّاً وقد حرّمتَ ثغْرَك للعناقِ

وها أنا طائفٌ بك كلَّ حينٍ فعيّن ليَ المُقبَّلَ للطوافِ

فقد أفاد الشاعر من المصطلحات الدينية ، للتعبير عن المعنى الذي يريـده ، فجعل الطواف الذي يقوم به الحجيج حول الكعبة المكرّمة ، وتقبيل الحجر الأسود ، بمنزلة طوافه حول صاحبته ، وبيان رغبته في تقبيلها ، وبهذا عمد الشـاعر إلـى تغذية النص بالإيحاءات ، من خلال طبقات المعنى ، وبخاصة التورية .

وقد أفاد الشعراء من ظاهرة التكرار اللغوي في إيجاد مساحة أخـرى مـن مساحات التأثير، مع الإشارة إلى أنّ الجمال الفني المؤثر لا يأتي من التكرار لكونه تكراراً ، وإنما من خلال فنّية التكرار ، والتصرّف في طبيعته ، والإفادة من طبيعة تشكيله ، ومطاوعته لنفسية الشاعر ، في مثل قول صفوان بن إدريس فـي بـاب التكرار المجانس :

فضمَمْتُهُ ضمّ البخيل لماله أحنـو عليه من جميع جهاته

ومثله قول لسان الدين بن الخطيب في هذا المدار[٩٧] :

فلما بدتْ للرّاح منه ارتياحـةٌ ومالتْ شمالٌ للشمول بقـدّهِ
توسّدَ أضغاث الرياحين وانثنـى يغطُّ غطيط الطفل من فوق مهدهِ
فبايعتُ سلطانَ العفاف ولم أجزْ على فِكْرَتي إلاّ الوفاء بعهـدهِ

وقوله في موضع آخر في باب التكرار المطابق [٩٨] :

كم لؤلؤٍ نثرَ الحديث عقـوده نظمتْ لشمْل الودّ منه عقـودُ

وقول الخولاني :

بدرٌ ألمّ وبدرُ التّمّ ممتـحقٌ والأفقُ محلولكُ الأرجاءِ من حَسَـدِ

وقول المستعين : [٩٩]

وإذا تجارى في الهوى أهلُ الهوى عاشَ الهوى في غبْطَةٍ وأمانِ

وقول الجيّاني :

بأيّهما أنا في الشّكر بـادي بشُكْر الطّيف أمْ شُكْرِ الرّقـادِ

وللتقسيمات الإيقاعية داخل التشكيل الصوتي للبيت الشعري المفـــرد دورٌ في التعبير عن الشعور الداخلي للشاعر تجاه المعنى الفنّي ، قال أبو بحر يوســـف بن عبد الصمد (١٠٠) :

في عفّةٍ لو أصبحت مقسومـــــةً في الناس لم تتلفّع الحسناءُ

فلتلحظِ الغزلانُ ، ولتتمايـــل الـــ أفْنانُ ، ولتترَجْرَجِ الأثْقـاءُ

فإن التقسيمات الإيقاعية ماثلة في البيت الثاني ، وفيها من التدفُّق الموسـيقي ، ومما يمثّله من سرعة الإيقاع ما يجعلها أكثر تأثيراً في المتلقي ، وتـأكيداً للمعنـى الشعري المقصود .

ومن الأمثلة الأكثر وضوحاً فيما يتعلّق بالموسيقا الداخلية للنص ، قول مالك بـــن المرحّل (١٠١) :

حياةُ النفوس بطيب الجلوس بقُرْبِ عروس كشمس الضُّحـى

بتَغْديل قدٍّ وتوريدِ خـــــدٍّ كخُمْرة وردٍ علاه النّـــــدى

وخصرٍ رقيق وقدٍّ رشيـــق وحُسْنٍ أنيق يفوق الـــــورى

وطيْبِ المَقيل بقـــرْبِ الحبيبِ وظلٍّ ظليلٍ بدار العُـــــــلا

سَيلقى مُناهُ وأقصَى رضَـــاهُ بمولىً يَراهُ فذاك المُنـــــــى

فقد ظهرت في هذا النص الموسيقا الداخليـــة بـــأبرز تجلياتـــها ، فســهولة مخارج الحروف ، ووضوح الألفاظ ، وعذوبتها ، أحدثَ ضرباً من التنغيـــم فـــي النص ، ولا يخفى ما للمحسنات اللفظية ، و مـــا للموازنـــة ، وحُســن التقســيم ، والتكرار الإيقاعي من إغناء الموسيقا الداخلية ، من حيث السرعة فـــي الإيقـــاع ، والتّدفُّق الموسيقي ، وما لهما من أثرٍ بلاغي جلي ، فضلاً على تعميـــق المعنـــى المقصود وتوكيده .

الهوامش

١- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (٤٥٦هـ - ١٠٦٤م) ، طوق الحمامة في الألفة و الأُلاّف ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، دار الاستقامة ، القاهرة (د . ت) ، ص١٤٢.

٢- المراكشي ، عبد الواحد ، المُعجب في تلخيص تاريخ المَغرب ، تحقيق : د. محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، القاهرة (د . ت) ، ص ٢٠٢. وابن طفيل هو : أبو بكر محمد بن عبد الله أصله من وادي آش ، كان طبيباً وفيلسوفاً عالماً ، فقيهاً بارع الأدب ، له مؤلفات كثيرة من بينها " حيّ بن يقظان " ، توفي بمراكش سنة ٥٨١هـ . انظر ترجمته في : المراكشي ، المعجب ص٢٠١، ابن الأبّار القضاعي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٦٥٨هـ - ١٢٦٠م) ، تحفة القادم ، تحقيق : د. إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٩٦، ابن سعيد المغربي ،علي ابن موسى(٦٨٥هـ - ١٢٨٦م)، المُغرب في حلى المغرب، تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة، ط٢ ، ١٩٦٤م، ج ٢ص٨٥ ، ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٧٧٦هـ - ١٣٧٤م) ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٧٢- ١٩٧٧م ،ج ٢ص٤٧٨.

٣- عباس ، د. إحسان ، تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين - دار الثقافة ، بيروت ، ط٧ ، (د . ت) ، ص١٥٧ .

٤- بيريس، هنري ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ترجمة : د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨م ، ص ٣٥٢.

٥- خمري ، د. حسين ، بنية الخطاب النقدي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١، ١٩٩٠م ، ص٣٤ .

٦- ابن شُهيد ، أبو عامر أحمد بن عبد الملك (٤٢٦هـ - ١٠٣٥م) ، ديوان ابن شُهيد الأندلسي ورسائله ، تحقيق : د . محيي الدين ديب ، المكتبة

العصرية ، صيدا – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ص ١٣٢، الحميدي ، أبو محمد بن أبي نصر (٤٨٨هـ – ١٠٩٥م) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، تحقيق : روحية عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٩٩٧م ، ص١١٩. وابن شهيد : هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد ، ينتسب لعائلة مشهورة بالسياسة و الأدب ، وتعد من أكبر الأسر الأندلسية في عصر الطوائف ، نشأ حياة مترفة في قصر أبيه ، وأثر ذلك في شعره ، وهو من مشاهير شعراء عصره ، و ناثريهم ، سريع البديهة ، من أهم آثاره التي تركها " التوابع والزوابع " توفي بالفالج سنة ٤٢٦هـ في العقد الخامس من عمره . انظر ترجمته في : الحميدي ، جذوة المقتبس ص١١٧، الفتح بن خاقان ، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي (٥٢٩هـ – ١١٣٥م) مطمح الأنفس ومسرح التأنس ، تحقيق : د. محمد الشوابكة ، دار عمار، عمان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م ، ص ١٨٩ ، ابن بسام الشنتريني ، علي (٥٤٢هـ – ١١٤٧م) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : د. إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ١٩٧٨م ، ق١ج١ص١٩١، الضبي ، أحمد بن يحيى (٥٩٩ هـ – ١٢٠٢م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق : روحية عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ص ١٦٤،الأزدي ، علي بن ظافر (٦١٣هـ – ١٢١٦م) ، بدائع البدائه ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص٨٣ ، ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى (٦٨٥هـ – ١٢٨٦م) ، رايات المبرزين وغايات المميزين ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ، طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م ، ص١٢٤، ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ج ١ص ٧٨.

٧- المراكشي ، المعجب ص٥٠. والمستعين بالله هو : سليمان بن الحكم بن سليمان ، تولى أمر قرطبة سنة ٤٠٣هـ ، وكان أديبا شاعرا ، قتل سنة

٤٠٧ هـ . ترجمته في : المراكشي ، المعجب ص٥٠ ، الحميدي ، جذوة المقتبس ص ٢٢، الضبي ، بغية الملتمس ص٢٥ ، ابن الأبار القضاعي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٦٥٨هـ - ١٢٦٠م) ، الحلة السيراء ، تحقيق: د . حسين مؤنس ، الدار العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٣م، ج٢ص٥ .

٨- ضيف ، د . شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات - الأندلس - ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ (د . ت) ، ص ٢٥٩ .

٩- ابن خميس ، أبو بكر محمد (٦٣٩هـ - ١٢٤١م) ، أدباء مالقة ، تحقيق: د . صلاح جرار ، دار البشير ، عمان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٩٩٩م ، ص ٢٠٧. وصفوان بن إدريس هو : صفوان بن إدريس بن إبراهيم التجيبي ، يكنى أبا بحر، من أهل مرسية ، كان فيها من جلة الأدباء البلغاء ، ومهرة الكتاب الشعراء ، وهو صاحب كتاب زاد المسافر ، مولده سنة ٥٦١هـ ، ووفاته في مرسية سنة ٥٩٨هـ . انظر ترجمته في : الأزدي ، بدائع البدائه ص٨٧ ،الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (٦٢٦هـ - ١٢٢٩م) ، معجم الأدباء ، دار الفكر، ط٣ ،١٩٨٠م ، ج ١٢ص١٠، ابن الأبار، تحفة القادم ص١١٩، ابن الأبار القضاعي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٦٥٨هـ - ١٢٦٠م) ، التكملة لكتاب الصلة ، عني بنشره وصححه : عزت العطار الحسيني ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٥م - ١٩٥٦م ، ج ٢ص٧٦٨ ،ابن سعيد ، رايات المبرزين ص ٢٠١، المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد (١٠٤١هـ - ١٦٣١م) ، نفح الطيب ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ١٩٦٨م ، ج٦ ص٢٥٣،.

١٠- بيريس، هنري ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص٣٥٢ ، عن لمح السحر لابن ليون . وابن سارة- بالصاد وبالسين - الشنتريني هو : أبو محمد عبد الله بن محمد، نزل إشبيلية وسكنها ، ناثر وشاعر مفلق ، اشتهر بين

أدباء عصره ، عمل في الوراقة وتعيش منها ، وتجول ببلاد الأندلس معلما للنحو، توفي سنة ٥١٧هـ . انظر ترجمته في : ابن بسام ، الذخيرة ق٣ج٢ص٨٣٤ ، الضبي ، بغية الملتمس ص٢٩٣، ابن دحية الكلبي، أبو الخطاب عمر بن حسن (٦٣٣هـ - ١٢٣٥م) ، المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، د.حامد عبد المجيد ، د. أحمد أحمد بدوي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٩٧م ، ص٧٨ ، ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ج١ص٤١٩، ابن سعيد ، رايات المبرزين ص١٠٦، ابن الخطيب ، الإحاطة ج٣ ص ٤٣٩.

١١-ابن حمديس الصقلي (٥٢٧هـ - ١١٣٣م) ، ديوان ابن حمديس ، تحقيق : د.إحسان عباس ، جامعة الخرطوم ، ١٩٦٠م ، ص ٨٢. و ابن حمديس : هو أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد ، من جزيرة صقلية ، رحل إلى الأندلس وأقام في إشبيلية عند المعتمد بن عباد ، ومن ثم هاجر إلى إفريقيا ، وفيها توفي سنة ٥٢٧هـ . انظر ترجمته في : ابن بسام ، الذخيرة ق٤ج١ص٣٢٠ ، ابن دحية الكلبي ، المطرب من أشعار أهل المغرب ص٥٤، ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (٦٨١ هـ - ١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان ، تحقيق : د. إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة (د . ت) ، ج ٣ص١٢١، ابن سعيد المغربي ، رايات المبرزين ص ٢٧٥ .

١٢- ابن قتيبة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٢٧٦هـ - ٨٨٩م) ، الشعر والشعراء، تحقيق : د . عمر الفاروق ، دار الأرقم ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ص ٣١.

١٣- ابن خميس ، أدباء مالقة ص٣٩١ -٣٩٢.

١٤- ابن بسام ، الذخيرة ق ٢ج١ص١٤٤. وأبو جعفر الخولاني هو : أحمد بن محمد الخولاني ، أحد شعراء المعتضد المحسنين ، المتقنين ، كان كثير الشعر ، كما عني بالعلم فجمع وصنف ، توفي سنة ٤٣٣هـ . ترجمته في : الحميدي ، جذوة المقتبس ص ١٠٠، ابن بسام ، الذخيرة ق٢ج١ص١٣٥،

الضبي ، بغية الملتمس ص١٤٠ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج١ص١٤١، ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ج١ص٢٤٣ .

١٥- المقري ، نفح الطيب ، ج٥ ص٥١٧ . وابن جزي : هو أبو القاسم محمد بن أحمد ، كان مدرسا ، ومشاركا في فنون من عربية وأصول ، تقدم خطيبا بالجامع الأعظم بغرناطة ، وإماما له ، وعمل كاتبا في ديوان الإنشاء ، استشهد في معركة طريف سنة ٧٤١هـ ، وكان مولده في سنة ٦٩٣م . انظر ترجمته في : ابن الخطيب ،الإحاطة ج٣ص٢٠ ، ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٧٧٦هـ - ١٣٧٤م) ، الكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٨٣م ، ص ٤٦ ، المقري ، نفح الطيب ج ٥ ص٥١٤، المقري ، أحمد بن محمد (١٠٤١هـ - ١٦٣١م) ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، أعاد طبعه صندوق إحياء التراث الإسلامي المشتركة بين المغرب والإمارات العربية المتحدة ، ١٩٧٨ ، ١٩٧٩م ، ج ٣ ص ١٨٤.

١٦- بيريس ، هنري ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص ١٥٩ .

١٧- السعيد ، د . محمد مجيد ، الشعر في عصر المرابطين والموحدين ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م ، ص ١٥١ .

١٨- مندور ، د. محمد الأدب ومذاهبه ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة (د . ت) ، ص١٣.

١٩- بيريس ، هنري ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص ٣٧٠ .

٢٠-الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد(٤٢٩هـ - ١٠٣٨م) ، يتيمة الدهر ، تحقيق : د . مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م ، ج ٢ ص١٩، الحميدي ، جذوة المقتبس ص ٩٣ ، الفتح بن خاقان ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس ص ٣٦٦، الضبي ، بغية الملتمس ص ١٣١ ، الداية ، د. محمد رضوان (جمع وترتيب) ، الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس ، وديوان بني فرج شعراء جيان ، نادي تراث الإمارات ، ٢٠٠٣م ،

ص٤١. وابن فرج الجياني هو: أبو عمر أحمد، صاحب كتاب (الحدائق) الذي ألفه للحكم المستنصر ، وقد سجنه المستنصر لأمر نقمه عليه ، و للجيلني شعر مشهور ، فيه إحسان كثير ، توفي سنة ٣٦٦هـ . انظر ترجمته في: الحميدي ، جذوة المقتبس ص٩٢ ، الفتح ابن خاقان ، مطمح الأنفس ص٣٣٢، الضبي ، بغية الملتمس ص١٣٠، ابن دحية ، المطرب من أشعار أهل المغرب ص٤ ، ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ج ٢ ص٥٦. و السقب : ولد الناقة . و الكعام : ما يوضع في فم السقب لمنعه من الرضاعة .

٢١-بلنثيا ، آنخل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة : د. حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (د . ت) ، ص ٦٢.

٢٢-ابن دحية ، المطرب من أشعار أهل المغرب ص٥ ، الدايه ، د. محمد ، الحدائق والجنان ص ٣٤.

٢٣-ابن بسام ، الذخيرة ق ٢ج ١ ص١٤٢ .

٢٤-ابن حزم ، طوق الحمامة ص٢٠.

٢٥-ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٧٧٦هـ - ١٣٧٤م) ، ريحانة الكتاب و نجعة المنتاب، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٨٠م ، ج ٢ص٢٦٢، ص٢٥٤.

٢٦-السعيد ، محمد مجيد ، الشعر في عصر المرابطين والموحدين ص ١٥٢ .

٢٧-بيريس ، هنري ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص٣٤٧ .

٢٨-ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات - الأندلس - ص ٢٦٢ .

٢٩-ابن زيدون ، أبو الوليد أحمد بن زيدون (٤٦٣هـ - ١٠٧٠م)، ديوان ابن زيدون ورسائله ، تحقيق : علي عبد العظيم ، دار نهضة مصر، القاهرة ، ط١(د . ت)، ص ١٤٥.

٣٠-ابن الحداد ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٤٨٠هـ - ١٠٨٧م) ، ديوان ابن الحداد، جمع وتحقيق : د. يوسف الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،

ط١، ١٩٩٠م ، ص ٣٠٨ ، ابن إدريس أبو بحر صفوان التجيبي (٥٩٨هـ - ١٢٠١م) ، زاد المسافر ، أعده وعلق عليه : عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ص ٩٥. وابن الحداد هو : أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ولد في وادي آش ، واستوطن المرية ، ينتسب لعائلة مشرقية ثرية ، أتاحت له فرصة التعلم على شيوخ العلم في عصره ، يعد من كبار شعراء الأندلس ، لازم بني صمادح زمن ملوك الطوائف ، واشتهر بمدح رؤسائهم ، توفي سنة ٤٨٠هـ . انظر ترجمته في : الفتح بن خاقان ، مطمح الأنفس ص٣٣٦ ، ابن بسام ، الذخيرة ق١ج٢ص٢٠١،القفطي ، علي بن يوسف (٦٤٦هـ - ١٢٤٨م) ، المحمدون من الشعراء ، تحقيق : حسن معمري ، جامعة باريس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ١٩٧٠م ، ص٩٩ ابن الأبار القضاعي ، التكملة لكتاب الصلة ج ١ص٣٩٨، ابن الأبار القضاعي ، المقتضب من تحفة القادم ص ١٧٤، ابن سعيد ، رايات المبرزين ص ١٨٩، ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ج٢ص١٤٣، ابن عبد الملك المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري (٧٠٣هـ - ١٣٠٣م)، الذيل والتكملة ، تحقيق: د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٦٥م ، السفر٦ ص ٢٠ ، الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ - ١٣٤٧م) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤، ١٩٨٦م ، ج١٨ص٦٠١ ، ابن الخطيب ، الإحاطة ج ٢ ص٣٣٣ ، المقري ، نفح الطيب ج٤ ص٤٩.

٣١-فيصل ، د. شكري ، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، دار العلم للملايين، بيروت ، ص ٢٤٠وما بعدها ، البغدادي ، إسماعيل باشا (١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م) ، هدية العارفين ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد، (د . ت) ، ج٢ص٧٥.

٣٢-ابن إدريس التجيبي ، زاد المسافر ص ٧١ ، وأبو بكر الكتندي هو : محمد بن عبد الرحمن بن أبي العافية ، من أهل غرناطة ، وسكن مالقة ، ويعد من نبهاء شعرائها . انظر ترجمته في : ابن إدريس التجيبي ، زاد المسافر ص٩٤ ، ابن خميس، أدباء مالقة ص٨٥ ، ابن سعيد ، رايات المبرزين ص١٥، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب ج ٢ ص٢٦٤.

٣٣-جبران ، د. محمد مسعود (تحقيق ودراسة) ، مالك بن المرحل أديب العدوتين، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٨٦. ومالك بن المرحل هو : مالك بن عبد الرحمن بن علي بن الفرج ، يعرف بابن المرحل، ويكنى بكنيتين هما : أبو الحكم ، وأبو جعفر ، ينتمي لأسرة مالقية مغمورة ، اكتسبت شهرتها من شهرته الأدبية ، حيث بلغ من الشهرة الواسعة في عالمي الفكر والأدب ، والصلة بحكام المغرب والأندلس ، وكانت وفاته سنة ٦٩٩هـ ، وقد تجاوز التسعين . انظر ترجمته في : ابن الزبير ، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي (٧٠٨هـ - ١٣٠٨م) ، صلة الصلة ، تحقيق: د. عبد السلام الهراس ، والشيخ سيد أعراب ، وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ١٩٩٣-١٩٩٥م ، ق٣ص٦٥ ، ابن الخطيب ،الإحاطة ج ٣ص٣٠٤ ، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ - ١٥٠٥م) ، بغية الوعاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، (د . ت) ج٢ص٢٧١، ابن القاضي، أحمد المكناسي (١٠٢٥- ١٦١٦م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٤م ، ج١ص٣٢٩.

٣٤-المقري ، نفح الطيب ج ٢ص٦٠٨ .

٣٥-السعيد ، د . محمد مجيد ، الشعر في عصر المرابطين والموحدين ص١٦٦.

٣٦-ابن خميس ، أدباء مالقة ص٣١٤ ، و أبو الحسن علي بن فرجون ، كان زاهدا فاضلا ورعا ، و أديبا مشهورا في عصره ، كان حيا سنة ٥٨٥ هـ .

انظر ترجمته في : ابن خميس ، أدباء مالقة ص ٣١٤ ، ابن عبد الملك المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري ، الذيل والتكملة السفر الخامس ق١ص٣٧٥ ، ابن الزبير، صلة الصلة ج٤ص١٢٣.

٣٧- ديوان ابن زيدون ص ١٦٨.

٣٨- بيريس ، هنري ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص٣٥٤.

٣٩- ابن بسام ، الذخيرة ق١ج١ص٥٧ . والمستظهر بالله هو : عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ، يكنى أبا المطرف ، ولد سنة ٣٩٢هـ ، تولى الخلافة في الأندلس بضعة أشهر في سنة ٤١٤ هـ ، وكان غاية في الأدب والبلاغة ، قتل في سنة ٤١٤هـ . انظر ترجمته في : الحميدي ، جذوة المقتبس ص٢٧، ابن بسام ، الذخيرة ق١ج١ص٤٨، الضبي ، بغية الملتمس ص٢٩، المراكشي ، المعجب ص٥٧ ، ابن الأبار ، الحلة السيراء ص١٢ ، ابن سعيد ، رايات المبرزين ص ١١١ .

٤٠-الأعمى التطيلي ، أبو جعفر أحمد بن عبد الله (٥٢٥هـ - ١٢١٣م) ، ديوان الأعمى التطيلي ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣م ، ص ٢١. والأعمى التطيلي هو : أبو العباس أحمد بن عبد الله القيسي ، من كبار شعراء الأندلس ووشاحيها ، من بلدة تطيلة ، وكان ضريرا فلقب بالأعمى التطيلي، توفي سنة ٥٢٥هـ . انظر ترجمته في : ابن بسام ، الذخيرة ق ٢ج٢ص٧٢٨ ، ابن سعيد ، رايات المبرزين ص ٢٢٤، ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ج٢ص٤٥١ .

٤١-ديوان ابن زيدون ص١٤٤.

٤٢-ابن حزم ، طوق الحمامة ص ١٠.

٤٣-ابن خاتمة ، أحمد بن علي (بعد ٧٧٠هـ - ١٣٦٨م) ، ديوان ابن خاتمة الأنصاري ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، سوريا ، ط١ ، ١٩٩٤م ، ص٨٠. وابن خاتمة هو : أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري ، من أهل المرية ، كتب عن ولاتها ،

واختلف إلى غرناطة واتصل بسلاطينها ، فقيه أديب بليغ ، لـه كتـاب فـي الطاعون الذي حدث سنة ٧٤٩ هـ ، كان حيـا سـنة ٧٧٠هـ . انظـر ترجمته في : ابن الخطيب ، الإحاطة ج ١ص٢٤٧ ، ابن الخطيب ، الكتيبـة الكامنة ص٢٣٩ ، ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل (٨٠٧هـ - ١٤٠٤م)، نثير فرائد الجمان ، تحقيق : د . محمد رضوان الدايـة ، عـالم الكتـب ، بيروت ، ط١،١٩٨٦م ، ص١٥٦، ابن القاضي ، أحمـد المكناسـي ، درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق : محمد أحمدي أبو النور ، دار الـتراث ، القاهرة، المكتبة العتيقة ، تونس ،١٩٧٠م ،ج ١ص٨٦ ، البغـدادي ، هديـة العارفين ج١ص١١٣، مخلوف ، محمد بن محمد (١٣٦٠هـ - ١٩٤٠م) ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الكتاب العربـي ، بـيروت (د.ت) ، ص ٢٢٩ ، مجلة الأندلس ، مدريد ، مجلـد ٣٣ ، العـدد ١ ، ١٩٦٨م .

٤٤-بيريس ، هنري ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص ٣٤٧ .

٤٥-ابن خفاجة ، أبو إسحق ،إبراهيم (٥٣٣هـ - ١١٣٧م) ، ديـوان ابـن خفاجة، إبراهيم ، دار صادر، بيروت (د . ت)، ص ٢٦٦.

٤٦-الفتح ابن خاقان، مطمح الأنفس ص٣١٣، المراكشـي ، المعجـب ص ٣٤. و الرمادي هو : أبو عمر ، يوسف بن هارون الكندي ، يعرف بالرمـادي ، ويقال له : أبو سبيح ، أو أبو جنيس ، كثير الشعر ، سريع القول ، معـروف عند الخاصة والعامة ، توفي سنة ٤٠٣هـ . انظر ترجمته في : الثعـالبي ، يتيمة الدهرج٢ص١١٤ ، الحميدي ، جذوة المقتبـس ص٣٣٤ ،الفتـح بـن خاقان ، مطمح الأنفس ص٣١١ ، الضبي ، بغية الملتمـس ص٤٣٠، ابـن دحية ، المطرب من أشعار أهل المغـرب ص٤ ، ابـن سـعيد ، رايـات المبرزين ص ١٣٥ ، ابن الزبير ، صلة الصلـة ج ٢ص٦٣٧ ، المقـري ، نفح الطيب ج١ص١٩٦ . وانظر دراسة : جرار ، مـاهر زهـير ، شـعر

الرمادي يوسف بن هارون ، شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت .

٤٧-المراكشي ، المعجب ص ٢٠٢.

٤٨-الثعالبي ، يتيمة الدهر ج ٢ص١٩، ابن خاقان ، مطمح الأنفس ص٣٣٥.

٤٩-ديوان ابن خاتمة الأنصاري ص٢٠١.

٥٠-بنشريفة ، د. محمد ، البسطي آخر شعراء الأندلس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١، ١٩٨٥م ، ص ٢١٧. و البسطي هو : محمد بن عبد الكريم بن محمد البسطي القيسي ، ولد في العقد الثاني من القرن التاسع الهجري ، في بسطة وفيها نشأ ، ينتمي لعائلة من ذوي العلم والمعرفة والمكانة ، كان شاعرا من شعراء الأندلس المعدودين ، وكان عاصر أحداث الأندلس الأخيرة عند سقوطها . انظر دراسة الدكتور محمد بنشريفة " البسطي آخر شعراء الأندلس " دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م .

٥١-ابن زمرك الغرناطي ، أبو عبد الله محمد (٧٩٦هـ - ١٣٩٣م) ، ديوان ابن زمرك ، جمع وتحقيق : د . أحمد سليم الحمصي ، صيدا ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨م ، ص٢٠ . وابن زمرك هو : أبو عبد الله محمد بن يوسف الصريحي ، مولده في غرناطة ٧٣٢هـ ، تولى ديوان الإنشاء في عهد الغني بالله محمد الخامس بعد مقتل لسان الدين بن الخطيب ، ويعد من شعراء الأندلس ووشاحيها ، احتفظ أبو الوليد ابن الأحمر بجزء من شعره سماه البقية والمدرك من شعر ابن زمرك ، واحتفظت قصور الحمراء بجزء آخر من شعره نقش على جدرانها ، توفي قتلا في غرناطة سنة ٧٩٥هـ . انظر ترجمته في : ابن الخطيب ، الإحاطة ج ٢ص ٣٠ ، ابن الخطيب ، الكتيبة الكامنة ص٢٨٣ ، ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان ص ١٥١،ابن القاضي جذوة الاقتباس ج١ص٣١٤، المقري ، أزهار الرياض ج٢ص٧ ، المقري ، نفح الطيب ج٧ص١٤٥، وانظر عن الشعر المنقوش قصور الحمراء :

جرار، د. صلاح ، ديوان الحمراء ، المؤسسة العربية للدراسات والنشـــر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م.

٥٢-بيريس ، هنري الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص٣٧٠ .

٥٣-ديوان ابن خفاجة ٢٦٢.

٥٤-ابن بسام ، الذخيرة ق٢ج١ص٥٦ .

٥٥-ابن إدريس التجيبي ، زاد المسافر ص ١٠٨. والأبيض هو : أبو بكر أحمد بن محمد الأنصاري ، كان شاعرا وشاحا من الوشاحين المطبوعين ، كثـير الهجاء في عصره ، وولع بهجاء الزبير أمير المرابطين على قرطبة ، توفي بعد سنة ٥١٥هـ . ترجمته في : ابن إدريس التجيبي ، زاد المسـافر ص ١٠٨، ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ج ٢ص١٢٧، المقري ، نفـح الطيب ج٣ص٢٨٧ ، ٤٠٤ ، ٤٤٨ ، ٤٦١، ٤٦٩، ج ٧ص٧ .

٥٦-ابن بسام ، الذخيرة ق٢ج١ص١٤١، ابن دحية ، المطرب من أشـعار أهـل المغرب ص٤، المقري ، نفح الطيب ج ٣ص٧١ .

٥٧-بيريس ، هنري ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص ٣٧١ ، عن لمـح السحر.

٥٨-ابن بسام ،الذخيرة ق ٢ج١ص١٤٥،ابن سعيد ،المغرب في حلـى المغـرب ج١ ص ٢٩٠. و المنيشي هو : أبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي ، مـن أبناء القرن الخامس الهجري ، ينتسب إلى قرية منيش من كـورة إشـبيلية ، لقب بعصا الأعمى ؛ لأنه كان يقود الأعمى التطيلي . ترجمته في : الفتح بن خاقان ، مطمح الأنفس ص٣٥٣ ، الضبي، بغية الملتمـس ص٤٦٥ ،ابـن دحية ،المطرب من أشعار أهل المغرب ص ١١٠، ابن سعيد ، المغرب فـي حلى المغرب ج ١ص٢٨٩.

٥٩-ديوان ابن خاتمة الأنصاري ص ٧٧ .

٦٠-ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ص ١١٦، المقـري ، نفـح الطيـب ج ٥ ص٥١٦ .

٦١-ابن حزم طوق ، الحمامة ص ٣٦ .

٦٢-المصدر نفسه ص ٣١.

٦٣-ابن بقي ، أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن (٥٤٠هـ - ١١٤٥م) ، ديوان ابن بقي، تحقيق : د . محمد مجيد السعيد، دار كوتا ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ص٧٠ ،ابن دحية ، المطرب ص١٩٨. وابن بقي : هو أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن بقي ، أحد أدباء الأندلس المعدودين ، وشعرائها المشهورين ، كما كان وشاحا ، تنقل بين المغرب والأندلس ، كانت وفاته في وادي آش بالأندلس سنة ٥٤٠هـ . انظر ترجمته في : الفتح ابن خاقان ، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله الفتح القيسي (٥٢٩هـ - ١١٣٥م) ، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، تحقيق : د. حسين خريوش، مكتبة المنار، الأردن ، ط١،١٩٨٩م ، ص٩١٩ ، ابن بسام ، الذخيرة ق٢ ص٦١٥ ، السلفي ، أحمد بن محمد (٥٧٦هـ - ١١٨٠م) ، أخبار وتراجم أندلسية، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣م ، ص٥٠ ، الحموي ، معجم الأدباء ج٢٠ص٢١ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٦ص٢٠٥، ابن سعيد ، رايات المبرزين ص ١٣٦، ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ج٢ص١٩، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ج٢٠ص١٩٤ ، المقري ، نفح الطيب ج ٤ص٢٤١.

٦٤-ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٧٧٦هـ - ١٣٧٤م) ، الصيب و الجهام والماضي و الكهام (ديوان شعره) ، تحقيق : د . محمد الشريف قاهر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط١ ، ١٩٧٣م ، ص ٤١٨ .

٦٥-ابن بسام ، الذخيرة ق ٢ج١ص١٣٦، وقد قال ابن بسام في نسبة هذه القصيدة : " وقد رأيت من يروي هذه القطعة لإدريس بن اليماني ".

٦٦-ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات - الأندلس - ص ٢٦١ .

٦٧-المصدر نفسه ص ٢٥٩ .

٦٨-ابن خميس ، أدباء مالقة ص٢٠٧.

٦٩-بيريس ، هنري ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص ٣٤٧ .

٧٠- ديوان ابن خاتمة الأنصاري ص ٢١٠.

٧١-الجاحظ ، أبو عمرو عثمان بن بحر (٢٥٥هـ - ٨٦٩م) ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، ط١ ،١٩٩١م ، ج ٢ص١٧٨.

٧٢-ابن بسام ، الذخيرة ق ٢ج١ص١٤٢. و الحصري هو : أبو الحسن علي بن عبد الغني الكفيف ، أصله من القيروان في إفريقيا ، شاعر ناثر ، رحل إلى الأندلس بعد خراب بلده منتصف القرن الخامس الهجري ، واتصل بملوك الطوائف ، فتنافسوا في استجلابهم لبلاطاتهم ، على عادتهم من الاحتفاء بالشعراء ، توفي سنة ٤٨٨هـ . انظر ترجمته في : الحميدي ، جذوة المقتبس ص ٢٩٦ ، ابن بسام ، الذخيرة ق٤ج١ص٢٤٥، الضبي، بغية الملتمس ص١٢٢٩ ، الحموي ، معجم الأدباء ج ١٤ص٣٩ ، ابن الزبير ، صلة الصلة ص ٤١٠.

٧٣-ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ج ١ص٧٧ .

٧٤-ديوان لسان ابن الخطيب (الصيب و الجهام) ص ١٦٦.

٧٥-أنيس ، د. إبراهيم ، لغة الشعر بين جيلين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م ، ص٩.

٧٦-الجرجاني ، القاضي علي بن عبد العزيز (٣٦٦هـ - ٩٧٦م) ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٦٦م ، ص ٤١٢.

٧٧-أولمان ، ستيف ، دور الكلمة في اللغة ،ترجمة وتعليق : د. كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص ١٥ ، ص١٠٠ .

٧٨-غزوان ، د . عناد ، التحليل النقدي والجمالي للأدب ، دار آفاق عربيـــة ، بغداد ، ١٩٨٥م ، ص ٣١ .

٧٩-مندور ، د. محمد ، الأدب ومذاهبه ، دار نهضة مصر للطباعـــة والنشـــر ، القاهرة (د . ت) ، ص ٨ .

٨٠-ديوان ابن خاتمة الأنصاري ص ٦٥ .

٨١-ديوان ابن بقي ص٧٠ ، ابن دحية ، المطرب من أشـــعار أهـــل المغـــرب ص ١٢٨. و العذيب : موضع على ماء بظاهر الكوفة في العـــراق ، وهـــو بين القادسية والمغيثة ، ويقال هو واد لبني تميم ، وهو مـــن منـــازل حـــاج الكوفة ، تردد ذكره في الشعر العربي كثيرا . انظر : الحميري ، محمد بـــن عبد المنعم (٧٢٧هـــ - ١٣٢٧م) ، الروض المعطار ، تحقيق : د. إحســان عباس ، مكتبة لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، ص ٤٠٩، الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (٦٢٦هـــ - ١٢٢٩م) ، معجم البلدان ،تحقيق : فريد عبـــد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ج ٤ص١٠٣.

و بارق : ماء بالعراق ، من أعمال الكوفـــة ، وهـــو الحـــد بيـــن القادســـية والبصرة، تردد ذكره مع (العذيب) في الشعر العربي كثـــيرا . الحمـــوي ، معجم البلدان ج ١ص٣٨٠.

٨٢- ديوان ابن خاتمة الأنصاري ص ٦٥ .

٨٣- ابن حزم ، طوق الحمامة ص ٣١.

٨٤- ابن بسام ، الذخيرة ق٢ج١ص١٤٣.

٨٥- الحصري ، أبو إسحق إبراهيم بن علـــي (٤٥٣هـــ - ١٠٦١م) ، زهـــر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيـــل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢م ، ج١ص٤٤٨ .

٨٦-ماككن ، جيروم ، نقد النص والتفسير الأدبي ، ترجمة نجدت كاظم موســـى ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٨م .

٨٧- سورة يوسف ، الآية ١٢.

٨٨- سورة الإنسان ، الآية ٧٤ .

٨٩- سورة ق ، الآية ٥٠ .

٩٠- ابن بسام ، الذخيرة ق ١ج١ص ٥٠٥ ، الحميدي ، جذوة المقتبس ص ١٠١، الفتح بن خاقان ، مطمح الأنفس ص ٢٠٨ ، الضبي ، بغية الملتمس ص ١٤١ ، ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ج ١ص٩٠ ، المقري ، نفح الطيب ج ٣ص٥٤٦ . وابن برد الأصغر هو : أحمد بن محمد بن أحمد ، لقب بالأصغر تمييزا له من جده ابن برد الأكبر ، ينتمي لأسرة قرطبية لعبت دورا كبيرا في إثراء الحركة الأدبية في الأندلس، بليغ الكتابة ، عمل كاتبا لمجاهد العامري (٤٣٦هـ) ، والمعتصم بن صمادح (٤٨٤هـ) ، وكان شاعرا رقيق الحواشي ، وناثرا مولعا بالبحث عن صيغ فنية جديدة ، من أهم آثاره " المفاخرة بين السيف والقلم " و " المناظرة بين الزهور " و " رسالة النخلة " ، كان حيا سنة ٤٤٠هـ . انظر ترجمته في : الحميدي ، جذوة المقتبس ص١٠١، الفتح بن خاقان ، مطمح الأنفس ص ٢٠٧ ، ابن بسام ، الذخيرة ق ١ج١ص٤٨٦، الضبي ، بغية الملتمس ص١٤١ ، ابن سعيد ، رايات المبرزين ص١٢٠، ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ج ١ص٨٦ ، المقري ، نفح الطيب ج ٣ص٥٤٥ .

٩١- سورة يوسف ، الآية ١٢.

٩٢-خمري ، د . حسين ، بنية الخطاب النقدي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص٦٧ .

٩٣-مصطفى ، د. منجد ، دراسة في شعر ابن الجنان الأنصاري ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد ٣٥ ، ١٩٨٨م ، ص ٢٨.

٩٤-ابن بسام ، الذخيرة ق ٢ج١ص١٤٤.

٩٥-ديوان ابن خاتمة ص ٢٠٤، ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ص ١٥٧.

٩٦-ابن الخطيب ، الكتيبة الكامنة ص ٨٠ ، ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ص١٤٧. وابن هذيل : هو يحيى بن أحمد الأغرناطي ، أبو زكريا ، فقيه

وشاعر مبدع وطبيب مشهور ، له مشاركة في الفلسفة والحساب وغيرهما من العلوم ، خدم أخيرا باب السلطان بصناعة الطب ، وقعد بالمدرسة بغرناطة يقرئ الأصول والفرائض والطب ، وهو أحد شيوخ لسان الدين بن الخطيب، له ديوان شعر اسمه " السليمانيات والعربيات " لم يصل إلينا ، توفي سنة ٧٥٤هـ . انظر ترجمته في : ابن الخطيب ، الكتيبة الكامنة ص ٧٣، وقد عنونت الترجمة بابن شقرال خطأ، ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ج٤ ص٣٩٠، ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان ص١٤٤، العسقلاني ، ابن حجر (٨٥٢هـ - ١٤٤٨م) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبعة حيدر آباد الدكن ، ج٤ ص٤١٢، المقري ، نفح الطيب ج ٥ص٤٨٧ .

٩٧- ديوان ابن الخطيب (الصيب و الجهام) ص ١٦٦.

٩٨- ديوان ابن الخطيب (الصيب و الجهام) ص ١٦٧.

٩٩- المراكشي ، المعجب ص٥٠ .

١٠٠- ابن بسام ، الذخيرة ق ٣ج٢ص٨١٦ ، ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ج٢ص٤٠٣ ، وأبو بحر يوسف بن عبد الصمد هو : يوسف بن أبي القاسم خلف بن أحمد بن عبد الصمد ، كان شاعرا وناثرا مشهورا في زمن ملوك الطوائف ، وقد رثى المعتمد بن عباد حين وفاته ، وذكر ابن بسام أنه من ولد السمح بن مالك بن خولان أحد سلاطين الأندلس قبل دخول بني مروان . انظر ترجمته في : ابن بسام ، الذخيرة ق ٣ج٢ص٨٠٩ ، ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ج٢ص٢٠٣.

١٠١- جبران ، د. محمد مسعود (تحقيق ودراسة) ، مالك بن المرحل أديب العدوتين ، ص ٢٨٥.

المصادر والمراجع

- ابن الأبار القضاعي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر(٦٥٨هـ - ١٢٦٠م) ، تحفة القادم ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦م .
- ابن الأبار القضاعي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر (٦٥٨هـ - ١٢٦٠م) ، التكملة لكتاب الصلة ، عني بنشره وصححه : عزت العطار الحسيني ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٥م - ١٩٥٦م .
- ابن الأبار القضاعي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر(٦٥٨هـ - ١٢٦٠م) ، الحلة السيراء ، تحقيق : د . حسين مؤنس ، الدار العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٣م .
- ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل (٨٠٧هـ - ١٣٠٨م) ، نثير فرائد الجمان ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية، عالم الكتب ، بيروت ، ط١، ١٩٨٦م .
- ابن إدريس ، أبو بحر صفوان (٥٩٨هـ - ١٢٠١م) ، زاد المسافر ، أعده وعلق عليه : عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٠.
- الأزدي ، علي بن ظافر (٦١٣هـ - ١٢١٦م) ، بدائع البدائه ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٩٢م .
- الأعمى التطيلي ، أبو جعفر أحمد بن عبد الله ، (٥٢٥هـ - ١٢١٣م) ، ديوان الأعمى التطيلي ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣م .
- أنيس ، د. إبراهيم ، لغة الشعر بين جيلين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٠م .
- أولمان ، ستيف ، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة وتعليق : د. كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

- ابن بسام الشنتريني ، علي(٥٤٢هـ - ١١٤٧م) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : د. إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ١٩٧٨م .
- البغدادي ، إسماعيل باشا (١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م) ، هدية العارفين ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، (د . ت) .
- ابن بقي ، أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن(٥٤٠هـ - ١١٤٥م) ، ديوان ابن بقي ، تحقيق: د . محمد مجيد السعيد ، دار كوتا ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٧م .
- بلنثيا ، آنخل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة : د. حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (د . ت) .
- بنشريفة ، د. محمد ، البسطي آخر شعراء الأندلس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١، ١٩٨٥م .
- بيريس ، هنري ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ترجمة : د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨م.
- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك (٤٢٩هـ - ١٠٣٨م) ، يتيمة الدهر ، تحقيق : د . مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م.
- الجاحظ ، أبو عمرو عثمان بن بحر (٢٥٥هـ - ٨٦٩م) ، رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، ط١ ،١٩٩١ م .
- جبران ، د. محمد مسعود (تحقيق ودراسة) ، مالك بن المرحل أديب العدوتين، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ٢٠٠٥م .
- جرار ، د. صلاح ، ديوان الحمراء ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١، ١٩٩٩م.
- جرار ، ماهر زهير ، شعر الرمادي يوسف بن هارون ، شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت .

- الجرجاني ، القاضي علي بن عبد العزيز (٣٦٦هـ - ٩٧٦م) ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٦٦م .
- جرار ، د. صلاح ، ديوان الحمراء ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م.
- ابن الحداد ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٤٨٠هـ - ١٠٨٧م) ، ديوان ابن الحداد ، جمع وتحقيق : د. يوسف الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٠م .
- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (٤٥٦هـ - ١٠٦٤م) ، طوق الحمامة في الألفة و الألاف ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، دار الاستقامة ، القاهرة (د . ت) .
- الحصري ، أبو إسحق إبراهيم بن علي (٤٥٣هـ - ١٠٦١م) ، زهر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢م .
- ابن حمديس الصقلي (٥٢٧هـ - ١١٣٣م) ، ديوان ابن حمديس ، تحقيق د. إحسان عباس ، جامعة الخرطوم ، ١٩٦٠م .
- الحموي ، ياقوت بن عبد الله (٦٢٦هـ - ١٢٢٩م) ، معجم الأدباء ، نشره الدكتور أحمد فريد رفاعي بك ، مطبعة دار المأمون ، القاهرة ، ١٩٣٨م .
- الحموي ، ياقوت بن عبد الله (٦٢٦هـ - ١٢٢٩م) ، معجم البلدان ، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٠م .
- الحميدي ، أبو محمد بن أبي نصر (٤٨٨هـ - ١٠٩٥م) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، تحقيق : روحية عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .
- الحميري ، محمد بن عبد المنعم (٧٢٧هـ - ١٣٢٧م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : د. إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤م .

- ابن خاتمة الأنصاري ، أحمد بن علي (بعد ٧٧٠هـ - ١٣٦٨م) ، ديوان ابن خاتمة الأنصاري ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، دار الفكر، سوريا ، ط١ ، ١٩٩٤م .
- ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٧٧٦هـ - ١٣٧٤م)، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٧٢- ١٩٧٧م .
- ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٧٧٦هـ - ١٣٧٤م)، ريحانة الكتاب و نجعة المنتاب ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٨٠م.
- ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٧٧٦هـ - ١٣٧٤م) ، الكتيبة الكامنة ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٧٧٦هـ - ١٣٧٤م) ، الصيب و الجهام والماضي و الكهام (ديوان شعره) ، تحقيق : د . محمد الشريف قاهر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط١ ، ١٩٧٣م .
- ابن خفاجة ، أبو إسحق ، إبراهيم (٥٣٣ هـ - ١١٣٧م) ، ديوان ابن خفاجة ، دار صادر، بيروت (د . ت) .
- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (٦٨١ هـ ـ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان، تحقيق : د . إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة (د . ت) .
- خمري ، د . حسين ، بنية الخطاب النقدي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١، ١٩٩٠م .
- ابن خميس ، أبو بكر محمد بن محمد(٦٣٩هـ - ١٢٤١م) ، أدباء مالقة ، تحقيق : د.صلاح جرار ، دار البشير ، عمان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م .

- الداية ، د. محمد رضوان (جمع وترتيب) ، الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس ، وديوان بني فرج شعراء جيان ، نادي تراث الإمارات ، ٢٠٠٣م .
- ابن دحية الكلبي ، أبو الخطاب عمر بن حسن (٦٣٣هـ - ١٢٣٥م) ، المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، د.حامد عبد المجيد ، د. أحمد أحمد بدوي ، مطبعة دار الكتب المصرية ،١٩٩٧م .
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ - ١٣٤٧م) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٦م .
- ابن الزبير ، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي (٧٠٨هـ - ١٣٠٨م) ، صلة الصلة ، تحقيق : د. عبد السلام الهراس ، والشيخ سيد أعراب ، وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ١٩٩٣-١٩٩٥م .
- ابن زمرك الغرناطي ، أبو عبد الله محمد (٧٩٦هـ - ١٣٩٣م) ، ديوان ابن زمرك الغرناطي ، تحقيق : أحمد سليم الحمصي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م .
- ابن زيدون ، أبو الوليد أحمد (٤٦٣هـ - ١٠٧٠م) ، ديوان ابن زيدون ورسائله ، تحقيق : علي عبد العظيم ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط١ (د . ت) .
- السعيد ، محمد مجيد ، الشعر في عصر المرابطين والموحدين ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م .
- ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى (٦٨٥هـ - ١٢٨٦م)، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٢ ، ١٩٨٠م .
- ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى(٦٨٥هـ- ١٢٨٦م) ، رايات المبرزين، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، طلاس للدراسات والنشر ، دمشق ، ط١، ١٩٨٧م .

- ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى (٦٨٥هـ - ١٢٨٦م)، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٤م .
- السلفي ، أحمد بن محمد (٥٧٦ هـ - ١١٦٥م) ،أخبار وتراجم أندلسية ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ،١٩٦٣م .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ - ١٥٠٥م) ، بغية الوعاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، (د . ت) .
- ابن شهيد ، أبو عامر أحمد بن عبد الملك (٤٢٦هـ - ١٠٣٥م) ، ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله ، تحقيق : د . محيي الدين ديب ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .
- الضبي ، أحمد بن يحيى(٥٩٩ هـ - ١٢٠٢م) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .
- ضيف ، د . شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات - الأندلس - ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ (د . ت) .
- عباس ، د. إحسان ، تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين - دار الثقافة ، بيروت ، ط٧ (د . ت) .
- المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عبد الملك (٧٠٣هـ - ١٣٠٣م) ، الذيل والتكملة ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥م .
- العسقلاني ، ابن حجر (٨٥٢هـ - ١٤٤٨م) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، طبعة حيدر آباد الدكن .
- غزوان ، د. عناد ، التحليل النقدي والجمالي للأدب ، دار آفاق عربية ، بغداد، ١٩٨٥م .

- الفتح بن خاقان ، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي (٥٢٩هـ - ١١٣٥م) ، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، تحقيق : د. حسين خريوش ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط١،١٩٨٩م .
- الفتح بن خاقان ، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي (٥٢٩هـ - ١١٣٥م) ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس ، تحقيق : د. محمد الشوابكة ، دار عمار، عمان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٩٨٣م .
- فيصل ، د. شكري ، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- ابن القاضي ، أحمد المكناسي (١٠٢٥-١٦١٦م) ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٤م .
- ابن القاضي ، أحمد المكناسي (١٠٢٥هـ - ١٦١٦م) ، درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق : محمد أحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، المكتبة العتيقة ، تونس،١٩٧٠م .
- ابن قتيبة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٢٧٦هـ - ٨٨٦م)، الشعر والشعراء ، تحقيق : د. عمر الفاروق ، دار الأرقم ، بيروت ، ط١، ١٩٩٧م .
- القفطي ، علي بن يوسف (٦٤٦هـ - ١٢٤٨م) ، المحمدون من الشعراء ، تحقيق : حسن معمري ، جامعة باريس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ١٩٧٠م .
- ماككن ، جيروم ، نقد النص والتفسير الأدبي ، ترجمة : نجدت كاظم موسى ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١، ١٩٨٨م .
- مجلة الأندلس ، مدريد ، مجلد ٣٣ ، العدد ١ ، ١٩٦٨م .
- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد ٣٥ ، ١٩٨٨م .

- مخلوف ، محمد بن محمد (١٣٦٠هـ- ١٨٦٣م) ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).
- المراكشي ، عبد الواحد (النصف الأول من القرن السابع الهجري) ، المعجب في تلخيص تاريخ المغرب ، تحقيق : د . محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرحاني للنشر والتوزيع ، القاهرة (د . ت) .
- المقري ، أحمد بن محمد (١٠٤١هـ - ١٦٣١م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م .
- المقري ، أحمد بن محمد (١٠٤١هـ - ١٦٣١م) ، أزهار الرياض ، أعادت طبعه اللجنة المشتركة بين المغرب والإمارات العربية المتحدة ، ١٩٧٨م ، ١٩٧٩م .
- مندور، د. محمد ،الأدب ومذاهبه ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة (د. ت) .